

مجلة
كلية اللغة العربية
بدمنهور

يصدرها أعضاء
هيئة التدريس بالكلية
تحت إشراف
الدكتور عبد الله بن محمود
عميد الكلية

العدد الثاني

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الطباعة المحمدية ٣ درب الأتراك بالأزهر



مجلة
كلية اللغة العربية
بدمنهور

يصدرها أعضاء
هيئة التدريس بالكلية
تحت إشراف

الدكتور عبد الله ربيع محمود
عميد الكلية

العدد الثانى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الطباعة المحمدية
٣٠ درب الأتراك بالأزهر - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه

وبعد

فهذا هو العدد الثانى من مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور يعجل إلى قارئه ليدعم ماجاء فى سابقه ، ويتدارك مافات فى مقدمه ، ويحقق بعض ماتم الوعد به فى رائده ، ويؤكد المقولة المشهورة والقاعدة المعروفة : كم ترك الأول للآخر ؟ والآخر فى ميدان العلم لايأتى إلا أن تقوم الساعة وتنقضى حياة البشر فى هذه الدنيا والمأمول أن يلمس القارىء مابدأ الظهور فى هذا العدد من سمات التنوع ، ومظاهر التوسع ، ومحاولات التجدد وتلك طبيعة الأمور وسنة التقدم والترقى تخضع لها - كغيرها - ظروف تلك المجلة الناشئة وهذه الحولية الناهضة والحق أنى أرى أن هذا العدد إنما هو تكملة للعدد الأول ، وتتميم لهيكله وبنائه واصلاح لما فرضته بعض ظروفه المالية والإدارية حيث تعتن دائما على البادىء ، وتوضع القيود على الناشىء وذلك على عكس مايجب من توسيع على الجديد وتمهيد ورعاية للوليد .

ومهما يكن فإن القافلة ستواصل السير تحت لواء العلم والمنهج وشعار الصبر والإخلاص مؤدية رسالتها فى خدمة العربية ورعاية الدعوة الإسلامية تالية دائما قول الحق سبحانه وتعالى :

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وإلى لقاء قريب فى العدد الثالث بإذن الله ؟

عبد الله ربيع محمود



الإيقاع
بين الموسيقى واللغة

بقلم

دكتور

عبد الستار سبيع محمود

« الإيقاع » لفظ يتردد كثيراً فى الدراسات الأدبيـــة والنقدية فى عصرنا ، ونراه كذلك فيما يكتبه بعض الدارسين لإعجاز القرآن الكريم أو الباحثين فى صوره البيانية والبلاغية ، ويحس القارىء لكل هذا وغيره أنه أمام لفظ أو مصطلح غير واضح الدلالة ، والأصل فى المصطلحات أن تكون محددة المعنى ، واضحة الدلالة ، بعيدة عن مظاهر التوهم والتوهيم .

من أجل هذا فكرت فى إلقاء بعض الضوء على هذا « المصطلح » قبل أن يصيبه ما أصاب غيره من الألفاظ المائعة الدلالة التى تشيع فى كتاباتنا الأدبية والبلاغية من قبل عبد القاهر وحتى اليوم .

وقد أكد هذا التفكير ودفعنى إلى السير فيه أن هذا المصطلح يعد فى الحقيقة من مصطلحات علم الصوتيات كما يعد موضوعه من أهم ما يسهم به هذا العلم فى الدراسات الجمالية للغة ، وفى بيان ما فى ألوان الكلام من مظاهر الجمال والتأثير .

والحق أن المكتبة العربية تكاد تخلو من الكتابات المتصلة بهذا الموضوع وما يشبهه من الموضوعات المتعلقة بالظواهر الموسيقية والعناصر الصوتية المرتبطة بأداء اللغة وتلحين الكلام .

وإذا كان القدماء من علماء العربية قد التفتوا إلى بعض تلك الأمور ووضعوا أيديهم على بعض القوانين المتصلة بها ، وبخاصة فى الشعر فإن المحدثين منهم لم يحاولوا بعد إكمال المسيرة والكشف عما تمتلكه لغتهم من قوانين الأداء ، وجماليات التلحين والتنغيم ، وإن كثيراً منهم ليكتفى اليوم بترداد العبارات التائهة مثل : حلاوة الإيقاع ، وسرعة الإيقاع وجماله ، والإيقاع العذب أو الجميل . . الخ ما نلقى فى كثير من الكتابات التى لم يحاول أصحابها حتى هذه الساعة ، تحديد معنى الإيقاع ، والكشف عن مظاهره ، ووسائله ، ووحداته فيما يتحدثون عنه .

ومن المعلوم بوضوح أن الحديث العصرى عن الإيقاع وأثره إنما شاع بيننا نتيجة لتأثر الثقافه العربية العصرية بالثقافات الحديثة الأخرى وخاصة بالثقافة الأوربية التى بلغت فى مثل هذه الأمور شأوا بعيدا ، ومن ثم فإن لفظ الإيقاع صار يرادف مايسمى بالإنجليزية مثلا مصطلح Rhythm ويعرف بما يعرف به ذلك المصطلح الأجنبى حيث قصد به معناه وما يراد به .

ويهمنا قبل أن نشرح ذلك أن نتعرف أولا على لفظ الإيقاع فى العربية قبل اقترانه بذلك المصطلح الدال على هذا الجانب الموسيقى فى اللغه .

إن هذا اللفظ يرجع فى العربية إلى مادة « وقع » وهى كما يقول ابن فارس : الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه يدل على سقوط شىء يقال : وقع الشىء وقوعاً فهو واقع . . »(١) ومعنى ذلك أن هذا اللفظ هو فى الأصل مصدر لأوقع يوقع إيقاعاً ، ولم يذكر ابن فارس لفظ الإيقاع فالتمسته فى العين عند الخليل ، وفى الجمهرة عند ابن دريد ، وفى الصحاح عند الجوهرى ، وأخيرا وجدته فى لسان العرب لابن منظور ، وفى القاموس المحيط للفيروزبادى فقد ذكر صاحب اللسان : والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها وسمى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه فى ذلك المعنى : « كتاب الإيقاع . . »(٢) أما صاحب القاموس فإنه يذكر والإيقاع إيقاع ألحان الغناء ، وهو أن

---

(١) مقاييس اللغة « وقع » ٦/١٣٣ ومابعدها .

(٢) لسان العرب « وقع » .

يوقع الألحان ويبنيها . . »(١) وقد علق المحشى على ذلك بقوله : قوله : ويبنيها من البناء ، وفى بعض النسخ يبينها وهو الذى فى اللسان والعباب كما فى الشارح » ، ويفهم من كل هذا أن ذلك اللفظ أو المصطلح لم يستعمل عند العرب إلا فى مجال الموسيقى والألحان ، وأنه يقصد به توقيع الالحان وبناؤها أو تبيينها ، ويجب أن نعترف هنا بغموض هذا التعريف ، فماذا يعنى بالتوقيع والبناء أو التبيين فى معجم يرجع إليه كل من يبغى الإفادة ولو كان غير متخصص فى الموسيقى والغناء ؟ ثم ما العلاقة بين هذا المعنى الذى هو اصطلاحى أو قريب من الاصطلاحى والمعنى اللغوى العام الذى أشار إليه ابن فارس أو أى معنى من المعانى الفرعية الاخرى ؟ إن الذى يبدو لنا أن المقصود بالإيقاع الموسيقى فى الأصل هو الضرب بقضيب ونحوه لتحديد مقادير اللحن وأوزانه ، على حد قول الجاحظ « والمغنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغانى »(٢) وقد ذكر أيضا قولهم: القضيب للإيقاع » أى للدلالة على صور الالحان وحدودها ، ثم توسع فى المعنى بعدئذ فصار يطلق على مايشتمل هذا الضرب وغيره مما يميز اللحن ويبنيه أو يبينه . ومن ثم فقد استخدمه الخليل اسما لكتابه وما أظنه يقصد به غير المعنى الموسيقى العام أى اللحن أو التلحين .

وتظهر علاقة المعنى الأصلى فى الاستعمال الموسيقى بالمعنى اللغوى العام عندما نتصور ما فى ضرب الالحان من معنى السقوط كما تظهر هذه العلاقة واضحة بأخذ المعانى الفرعيه الذى هو كما يقول صاحب الجمهرة :

---

(١) القاموس المحيط : « وقع » .

(٢) البيان والتبيين ٣/١١٩

(٣) المرجع السابق ٣/١٢

وقعت الحديدة أقعها وقعا ضربتها بالمطرقة(١) » فهذا ضرب وذاك ضرب ، ويمكن أن نلتمس تلك العلاقة أيضا فى وقع الأقدام عندما نتذكر أن الإيقاع والموسيقى بصورة عامة ، ترتبط من جانب أو آخر ، بحركات الأقدام وأثر وقوعها على الأرض فى المشى العادى أولا وفى الرقص ثانيا ، وما نشأ الإيقاع فى أول الأمر إلا نتيجة لتلك التحركات الجسمية التى كان الإنسان يقوم بها فى عمله أو لهوه .

ومهما يكن فقد استقر مصطلح الإيقاع فى الموسيقى ، وظل على هذا الحال ، ولم يستخدم فى الجانب اللغوى تاركا لمصطلحات أخرى مثل الوزن ، أو العروض ، التعبير عن هذا الجانب فيما يتصل باللغة أو الكلام فلما بدأ الحديث فى اللغات الأوربية عن الجانب الموسيقى المسمى Rhythm: فى الموسيقى واللغة اقترن مصطلح الإيقاع به وانتقل معه من حديث الموسيقى ودراستها إلى حديث اللغة ودراستها ، وصار مألوفا أن نجد « الإيقاع » بين مصطلحات علم الصوتيات كما نجده بين مصطلحات علم الموسيقى والغناء .

وهنا نتساءل عن المقصود بالإيقاع بصورة عامة ؟ وعما يعنى به موسيقيا ولغويا ؟ .

الواقع أن الإيقاع بالمعنى العام هو كما تقول سيسيل « نوع من السرور نجده فى أنفسنا عندما ننتج أو ندرك سلسلة من التحركات المتشابهة تشابها قليلا أو كثيرا ، بحيث تتميز هذه السلسلة بنشاط صاعد وهابط ، ونتيجة لتداعى المعانى فإن هذا السرور نفسه ، ينطبق على انطباعات البصر والسمع ، وبالتالى فإنه ينطبق أيضا على اللغه(٢) » .

---

(١) جمهرة اللغة « وقع »

(٢) بحث فى أعمال المؤتمر الدولى الثالث للصوتيات .

Striss Croups, p 249

وقد عبر « هفنر » عن ذلك بصورة أدق فقال : « عندما نستعمل مصطلح الإيقاع Rhythm بدقه فإنه يدل أو يعنى تجربة [يعيشها المرء بإحساسه] ، فالإيقاع هو التعرف على مجموعات أو قوالب من أحداث متعاقبة ، وعندما نعيش تجربته ونحسها ، فإننا ندرك ونعى انتظاما أو نوعا من الإنتظام فى استمرار وتكرر عملية القولبة ، فى داخل مجموعة من الحوادث (١) .

ومن هذا الكلام يتضح لنا أن الإيقاع يعنى هنا مجرد الإحساس والشعور الذى ينشأ من تكرر بعض الأحداث أو الأمور المتشابهة وانتظام هذا التكرر واستمراره وسواء كان هذا الإحساس أو الشعور السار ناشئا عن مبصر أو مسموع ، أو عن غير ذلك مما يثير الإنسان ويوقظ شعوره ، ومن ثم فقد ظهرت صور الإيقاع فى كل ألوان الحياة ، وفى جميع ألوان الفنون ، فهو يحس فى تنفس الإنسان وفى نبضات قلبه ، وفى مشيه ، وفى عمله حيث تراه فى صورة الحرث الجيد للفلاح ، وفى دوران المحرك السليم عند « الميكانيكى » ، وتراه كذلك فى لوحة الرسام ، وفى كل مظاهر الفن ، من تصوير ، ونحت ، وشعر ، وموسيقى ، مع وضوح أكثر فى هذين الفنين الأخيرين .. إنه فى دورة الأفلاك ، وتعاقب الليل والنهار وتوالى الشمس والقمر بحسبان . ألسنا نحس فى كل هذا انتظام التكرر ، وندرك عملية القولبة فى داخل كل مجموعة الأحداث ؟ ألسنا نحس بلون من السرور والمتعة كلما عشنا مع مظهر من تلك المظاهر المتكررة المتعاقبة ؟ ألسنا نميل إلى تصورها والبحث عنها إذا لم تمدنا بها الطبيعة أو الحياة التى نحياها ؟

لقد أدرك الإنسان كل هذا من قديم وعرف أن حياته نفسها ليست

---

(١) — Generol phometics, 229

إلا سلسلة من الإيقاعات المتزامنة والمتعاونة . فراح يبحث عن أسرار تلك الإيقاعات وعواملها ، فعرف أولا الإيقاع الموسيقى وأدرك قوانينه وحدوده وعرفه بأنه « هو قسمة اللحن بنقرات وهو النقلة على أصوات مترادفة فى أزمنة تتوالى متساوية ، وكل واحد منها يسمى دورا ، وأقل مايكون الدور فى الإيقاع من نقرتين .. الخ(١)

وكان للمحدثين فى ذلك جهود كبيرة يعرفها علماء الموسيقى والمشتغلون بها وليس هنا محل تفصيلها .

وعن طريق معرفة الإيقاع الموسيقى اهتدى الإنسان إلى التعرف على الإيقاع اللغوى ، وأيقن أنه لا يمكن الكلام عنه بصفته إحساسا أو إدراكا ممتعا ، بل لابد من التعرف المادى على مايثير هذا الإحساس ويصنعه .

وقد أشار هفنر إلى هذا بقوله : وعندما نتكلم عن الإيقاع فى لغة فإننا عادة ننقل انتباهنا من إحساسنا بالتجربة إلى الإثارة التى تنتج هذا الإحساس ، وندرس قوالب الكلمات أى قوالب المجموعات أكثر من أن ندرس إحساساتنا بها »(٢) وهــذا حق فإن الدارس اللغوى لا يتناول الأحاسيس وإنما يدرس من اللغة مايثيرها ويصنعها . ومن هنا يأتى الفرق فى دراسة الإيقاع بين عالم اللغة وعالم النفس فمن الممكن أن يدرس عالم النفس(٤) الإيقاع باعتباره إدراكا أو إحساسا معينا على حين أن عالم معيناً على حين أن عالم اللغة عندما يتناول هذا الموضوع إنما يتناوله من

---

(١) الحسن بن أحمد بن على الكاتب : كتاب كمال أدب الغناء ص٩٢

(٢) Gen, Pho, P 224

(٣) من الدراسات النفسية عن الإيقاع باللغة العربية بحث للحصول على درجة الماجستير من جامعة القاهرة بعنوان : الإيقاع الشخصى =

ناحية كونه لغة أو كلاما أثار متعة ، وصنع إحساسا بالجمال ، ومن الممكن للدراستين أن تلتقيا فى علم اللغة النفسى أو فى علم النفس اللغوى .

وعندما نصل بالإيقاع إلى دائرة اللغة والكلام فإننا نجد أنفسنا أمام ما سماه «هفنر» لقوالب الكلمات أو قوالب مجموعاتها »

ونرى أمامنا عدة تصورات للتعرف على تلك القوالب الإيقاعية فهناك من يرى التعرف عليها من الجانب الفسيولوجى .

يقول فندريس : « لقد رأينا أن إصدار النفس من فتحة القصبة الهوائية لا يتم دائما على صورة واحدة : طرد النفس ليس مستمرا لأن العضلات التى تنظم مرور النفس تسرع التحرك أحيانا ، وأحيانا تبطئه . وبناء على ذلك يكون لدينا تزايدات فى السرعة ، وتخفيضات لها ، وتوقفات وترعيدات أكبر أو أقل فى العدد على حسب اللغة ، وعلى حسب المتكلم ، وبعبارة أخرى فإن الكلام المنطوق يشتمل فى داخله على أساس إيقاعى ذى ضربات منبورة وغير منبورة تماما كما تقسم الجملة الموسيقية إلى تقطيعات بدون نظر إلى «الميلودى» فبالطريقة نفسها نستطيع أن نتعرف فى داخل أى جملة منطوقة بصرف النظر عن معناها — ونحس عددا من الأقسام ، أقل إنتظاما وأكثر قابلية للاختلاف فى الكم »[1] .

ومن الواضح أن فندريس وهو يبنى التقسيم الايقاعى فى الكلام على الأساس الفسيولوجى يلفت نظرنا إلى حقيقة يجب أن نتنبه لها مبكرا .

= والإيقاع فى الشعر المفضل من إعداد عبد السلام أحمد الشيخ اطلعنى عليه مشكورا الأخ الدكتور عبدالمنعم يوسف .

(١) اللغة : الترجمة الإنجليزية ص ٥٥ وأنظر ص ٨٦ ومابعدها فى الترجمة العربية .

1 - language. P,55

وهى أن التقسيم الإيقاعى فى الكلام لا يتمتع بالصرامة التى تكون فى التقسيم الإيقاعى فى الموسيقى حيث يفتقر فى الكلام من صور عدم الانتظام مالا يفتقر بالطبع فى الموسيقى .

وإذا كان « فندريس » لم يؤكد على الجانب المعنوى فى تصوره الفسيولوجى الإحساس بالإيقاع فإن الأب « رسلو » قبل ذلك قد أشار إلى هـذا الجانب فى تصوره للإيقاع إذ يقول : إن الايقاع هو العود الفترى لوحدة التقطيعات ، والتقطيعات الداخلية ، والجمل التى وزنها منتظم ، وذلك بوساطة الاختلافات فى المجهود التقطيعى (النطق) وبحدود الطاقة التنفسية من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب الحاجة إلى التعبير والحاجة إلى متطلبات الفكرة »(١) .

ومن الباحثين من يرى التعرف على تلك القوالب والوحدات السابقة عن طريق الوسائل الصوتية وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن وسائل الإيقاع وعن العوامل الصوتية التى تصنع وحداته وتثير عند السامع الإحساس بالعود والتكرر ؟

لقد أشار « هفنر » فى إجمال إلى تلك العوامل أو الوسائل فقال : « ويرجع هذا الانتظام — أى إنتظام الاستمرار والتكرر لعملية القولبة فى داخل مجموعة من الحوادث — إلى الفروق فى الشدات النسبية وأيضا إلى الفروق بين الكميات النسبية من الزمن تلك التى يحسها المستمع ، والتى ترتبط إرتباط تلازم مع المكونات المختلفة للقالب »(٢) .

وقد أشار « هفنر » بهذا إلى أهم عاملين فى صنع الإيقاع ، وهما الشدة

---

1 — Rousselot, Principes De phonetique exper imntal, .

2 — Gen. Pho. ,P 224

أو ما يمكن تسميته بالنبر ، والكم الزمنى أو ما يمكن تسميته بالتزمين ، وقد وضح « فاسيليف » هذا بقوله : الإيقاع فى الكلام هو تكرر المقاطع المنبورة فى المجموعة المعنوية فى أبعاد زمنية معينة .. فى الكلام الإنجليزى المتصل فإن المقاطع المنبورة لها ميل قوى إلى أن يتلو كل منها الآخر بقدر ما يمكن من القرب ، فى أبعاد زمنية متساوية ، والمقاطع غير المنبورة سواء كانت كثيرة أو قليلة تستغرق الزمن بين المقاطع المنبورة وهذا يؤثر فى تزمين tempo الكلام »(١) .

وقد زاد العالم الألمانى « فون اسن » هذه الفكرة توضيحا فقال : إن الإيقاع هو عبارة عن العود المتكرر الدورى لكوكبات من الأحداث متشابهة ومترابطة تعود وتتكرر على نظام متشابه ومن خلال أو عن طريق بناء قمم ديناميكية تصنع كل منها وحدة ، وليس محتما أن تكون قطع الزمن المملوءة بسلاسل متشابهة من الأحداث متساوية ، الفترات الدورية من الزمن يمكن أن تكون طويلة وقصيرة ، وبذلك يكون نوع السرعة وطابعها حيويا أو نشيطا ، إن جوهر الإيقاع وفكرته الأساسية ينسحب على صورة البناء ، وليس على مدة زمن الدورة .. »(٢) .

وقد أشار كثيرون إلى أثر النبر ودوره فى صنع الإيقاع حتى لقد جرت محاولات لدراسة النبر عن طريق الإيقاع ، وأصبح دور النبر فى صنع الإيقاع مما هو معلوم فى علم اللغة والصوتيات بالضرورة(٣) .

يقول فاسيليف : إن لنبر الجملة وظيفتين رئيستين : الأولى أن يميز الكلمات فى الجملة طبقا لأهميتها الدلالية النسبية فكلما كانت الكلمة أكثر

---

1 — Ves , English, phonetics P, 149.
2 — Von Essen 2.,912.
(٣) انظر بحثنا عن النبر فى نطق العربية الفصحى
رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة

أهمية كلما كانت أقوى فى النبر، والثانية أن يقدم أساسا للبناء الإيقاعى للجملة فإيقاع الكلام الإنجليزى، يتكون بوساطة تكرر المقاطع المنبورة فى أبعاد زمنية منتظمة قليلا أو كثيرا وبوساطة تبادل المقاطع المنبورة وغير المنبورة(١) .

ويؤيد « فون اسن » هذا المعنى ذاكرا أن النبر يبنى ما يسمى بالجسم الإيقاعى Rhythmischel Korper للجملة الذى هو عبارة عن كل المقاطع المحصورة بين القوادم (أى المقاطع ذات الضغط الأضعف من إبراز المقطع الرئيسى والسابقة له) والخوالى « وهى المقاطع التى تأتى بعد المقطع ذى النبر الرئيسى »(٢) .

ويبين لنا كل هذا مدى الارتباط القوى بين النبر وصنع الإيقاع حيث يستخدم المتكلم تلك الإبرازات أو النبرات فى تقسيم كلامه وصنع الوحدات الإيقاعية المتشابهة فيقترب بذلك مما يصنعه الموسيقى بوساطة النقرات المتتابعة ، ومن ثم فقد ربط كثير من الباحثين بين النبر والإيقاع وأطلقوا لفظ الإيقاع على النبر والظاهر أنهم قد تأثروا فى ذلك بنظم لغاتهم التى تعتمد فى إيقاعها بصورة رئيسة على حدوث النبر يقول أرنولد : الظاهرة التى تتكرر على أبعاد منتظمة بحيث يشعر الإنسان بالإيقاع هى النبر(١) .

« والحق أن الإيقاع وإن كان يعتمد على النبر بصورة أساسية إلا أن هذا لا يمنع من حدوث تفاعل بين مختلف العناصر الصوتية من شدة ونغمة وكم زمنى وتلوين صوتى يجعل الإنسان فى انفعال جسمى وروحى فى أثناء

---

1 — English Phon. p. 168

2 — Allg. vnd Ang, Phon 2 -191

وانظر : النبر فى نطق العربية الفصحى ص ٩٧

3 — lingua, vo - bno, 3 p 227

تشكيل المتكلم لإيقاعه على هذه الصورة(١) .

ولقد أشار كل من « هفنر » و « فون إسن » إلى أهمية العنصر الزمني في صنع الإيقاع ، وأوضح « فون اسن » إمكانية صنع إيقاعات عن طريق الكم الزمني .

وقد أثار زميلنا الدكتور عبد العزيز علام هذه القضية في بحثه عن التزمين فذكر أن من الإيقاع ما يسمى بالإيقاع الكمي أو الزمني وهو الذي يأتي عن طريق تكون وحدات زمنية تتكرر بشكل مخصوص ، وأثبت أن التزمين عنصر إيقاعي موضحا أن الأحداث الصوتية المتعاقبة كما يمكن أن تكون نبرات فإنه يمكن أن تكون كذلك كات زمنية أو وقفات أو سرعات « وذلك بأن يصنع المتكلم تغييرا مفاجئا على مسافات زمنية معينة في مسار خط التزمين إسراعا أو إبطاء » .

وقد أكد كلامه هذا بتجربتين إحداهما سمعية ، والأخرى بوساطة أجهزة التحليل الصوتي ثم أشار بعد ذلك إلى ما للتزمين من أثر في إحساس السامع بالجانب المتصل بسرعة الإيقاع أو بطئه وما يحدث في تصنيف الإيقاع من هذه الناحية « فيكون لدينا إيقاع سريع ، وإيقاع بطيء ، وإيقاع متوسط ، وإيقاع سريع جدا ، وإيقاع بطيء جدا وهكذا .. »(٢) .

والذي يبدو لنا أن كلا من النبر والتزمين متلازمان في صنع الإيقاع وإحداث الشعور به لدى السامع لكن أحدهما ربما غلب في نظام لغة فازداد الشعور به ونسب الإيقاع إليه على نحو ما نراه في تقسيمهم الإيقاع إلى قسمين رئيسين هما الإيقاع النبري ، والإيقاع الزمني أو التزميني ،

---

1 — Von Essen Allg...2196

(٢) انظر : من التزمين في نطق العربية الفصحى ١٠٧ — ١١١

ويلاحظ هنا أن العناصر الصوتية الأخرى مع مالها من أثر فى إحداث الإيقاع فإن البحث الإيقاعى لا يلقى إليها أهتماما كبيرا نظرا لبروز العاملين السابقين ، ودخول تلك العناصر الصوتية فيهما بشكل أو بآخر ومن الملاحظ أن اللغة العربية — على الرغم من دعاوى خلوها من النبر — تستعمل كلا من النبر والكم الزمنى فى صنع الإيقاع بها كما سيظهر عند دراسة إيقاع الشعر بها .

وقد أشار العلامة «فون إسن» إلى ترابط العناصر الصوتية المختلفة وتعاونها فى صنع الإيقاع فقال : «ولأن الإيقاع فى أضيق معانيه ينسحب على التقطيع والتجزىء إلى سلمات ديناميكية وبعبارة أخرى ينسحب على رفع وخفض ، أو بعبارة ثالثة ينسحب على مسار درجة شدة التكلم إلا أن هذا الإيقاع يعبر عن نفسه فى تفاعل وتعاون على التأثير ، مختلف الأنواع ، وتفاعل متعاور دائما أبدا لشدة الصوت ، لحدة الصوت ، لطول الزمن المستغرق فى صنع الصوت اللغوى ، لطبقة الصوت ، وأخيرا للون الصوت ، فإن إدراكك للإيقاع وتذوقك له إنما يعتمد ويتأسس على إحساسك « بالتوليفة » والتركيبة المعقدة ، إنه يعبر عن نفسه بما لا حصر له من القوالب ، ويجعل تشكله عند السامع فقط من خلال انفعاله جسميا وروحيا انفعالا كليا ، ويتم هذا التشكل لدى السامع فى أثناء تشكيل المتكلم لإيقاعه ، وعلى صورة هذا التشكيل ، ومن خلال تجاوب السامع (سيكوفزيائيا) فقط سيكون ادراك الإيقاع »(١) .

وهنا لا بد من التساؤل عن العلاقة بين الإيقاع وما يسمى بالأداء أو التلحين حيث نرى أن الوسائل الصوتية فى كل منهما تكاد تكون واحدة ، بل هى واحدة بالفعل فعناصر الأداء من النبر ، والتنغيم ، والتزمين ،

---

1 – nou Essen, 2 196

والتلوين الصوتى ، والوقفات هى التى تصنع لنا الإيقاع كما سبق ذكره .

إن هذه العلاقة — فيما يبدو لنا — تدخل تحت ما يسمى بعلاقة العموم والخصوص فالتلحين أو الأداء أعم إذ أنه يجمع من صور التكلم ما يكون إيقاعا وما لا يكون وتتحقق فيه تلك العناصر الصوتية مقولبة مكررة — على ما يحدث فى الإيقاع — وغير مقولبة أو مكررة على تلك الصورة العادية البعيدة عن المظاهر الإيقاعية .

ومن هنا يأتى انقسام الكلام إلى كلام إيقاعى موزون ، وكلام عادى أو غير إيقاعى .

إن الإيقاع يعد فى الحقيقة أحد مظاهر الأداء ، ومن ثم كان اختصاص الكلام الملتزم بالإيقاع أو الذى يكون الإيقاع أحد مكوناته وضروراته باسم أدائى خاص هو الإنشاد أو الترنم أو ما يشبههما .

وعلى هذا فإن كل إيقاع يعد تلحينا أو أداء ولا يعد الأداء أو التلحين إيقاعا إلا اذا حدث فيه التكرر بصورة متعاقبة .

لكننا يجب أن نتذكر هنا أن لفظ « الإيقاع » يطلق أحيانا مع شىء من التجوز على ذلك العنصر الأدائى أو الموسيقى الذى تفرضه اللغة ، ويلتزم به نظامها ، وهنا نراه مثلا يطلق على موسيقى الشعر التى هى أمر مفروض فى النظام الشعرى ، بحيث أن أى تغير فى ذلك يفسد هذا النظام مثل أى تغيير فى النظام الصرفى الذى يحتم مثلا أن يكون المشتق على وزن كذا ، فهذا شىء تفرضه اللغة والإيقاع أمر أو شىء يأتى فوق مستوى الصحة الإسنادية ، والصيغية والموسيقية ، الذى تفرضه اللغة . . ومن ثم فإنه يستحسن فى مثل هذه الحالة أن يفرق بين الموسيقية المفروضة بإطلاق لفظ الوزن عليها وبين الموسيقية التى هى فوق الجانب المفروض أو الضرورى وذلك بإطلاق لفظ الإيقاع عليها . تلك فقط وجهة نظر .

وإذا كان الأداء أو تلحين الكلام مرتبطا — كما هو معروف بالمعنى أو الدلالة فإننا لابد أن نتساءل هنا عن العلاقة بين هذا العنصر الأدائى الموسيقى الذى هو الإيقاع وبين المعنى؟ وهل يتحتم على الإيقاع أن يكون خاضعا لمتطلبات المعنى ووظائف اللغة، أو أنه يمكن أن يأتى لمجرد الموسيقية، وما يتصل بها من عناصر المتعة والجمال؟

لقد اختلفت تصورات الباحثين أمام هذا التساؤل، وقد مر بنا منذ قليل حديث «رسلو» الذى يشير فيه إلى دواعى الإيقاع، ويوجزها فى سببين:

أحدهما: يرجع إلى الطبيعة الفسيولوجية للمتكلم.

أما الثانى: فإنه يرجع إلى الجانب المعنوى الذى يدفع المتكلم إلى صنع الإيقاع ليعبر عن انفعالاته وعواطفه أو عن أفكاره، وأغراضه وبهذا يرى الأب رسلو أن الإيقاع ليس مظهراً جماليا فقط، وإنما هو ذو وظيفة تعبيرية أحيانا، وفكرية أحيانا أخرى.

وإذا كان هـذا هو رأى رسلو ومنه يظهر أن هناك ارتباط بين الإيقاع والمعنى فإن هناك من الباحثين من يرى عكس هذا الرأى ذاهبا إلى أن هناك خصومة بين الإيقاع والمعنى، تقول مسز سميل: «وإلى جانب ما ذكره فإنه يبدو أن هناك تعارضا بين المعنى والإيقاع.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة مؤلفون عديدون مثل: باس Possy يسبرس Jespersen، سوس Soames، زيفرز Sievers دى جروت De Groot، وهجوز Hegedus

ورأى هؤلاء أنه كلما زاد الانتباه إلى الإيقاع كلما قل الاهتمام والعناية بالمعنى والعكس صحيح ، فإن هناك نغمات عديدة وتشكيلات كبيرة من الأطوال الزمنية ومن مستويات شدة الصوت كلها عندما تسهم فى تقوية المعنى فإنها تقوى من حدوث المجموعات الإيقاعية(١) [أى أنها تجنى على المجموعات الإيقاعية أو كما قال « هفنر » تكسر وتهدم أسوار الإيقاع ، وقد أشار هفنر إلى تلك القضية عند حديثه عن العامل المؤثر فى تحديد مكان نبر المجموعة وهل هو الإيقاع أو نظام التنبير الخاضع للمعنى فقال : باستبعاد وتعطيل تأثير الإيقاع وأحياناً ضد تأثيره فإن اعتبارات التنبير (أى ملاحظة دوافعه وأهدافه التى قد تكون معنوية أو تأثيرية ، يغلب أن يكون همها هو تحديد مكان النبرات الرئيسة فى داخل مجموعة مدمجة من الصيغ »(٢) .

وكأن هذا الكلام يشير إلى أن المعنى قد يتطلب وجود النبر فى مكان على حين أن الإيقاع يتطلب كونه فى مكان آخر فيحدث بذلك ، التعارض بين المعنى والإيقاع .

بل لقد صرح « هفنر » بما هو أكثر من ذلك عندما ذهب إلى أن الإيقاع فى اللغة إما يكون مهما باعتباره عاملا أسـلوبيا أكثر من اعتباره عاملا دلاليا ، كذلك فلنلمح مثل هذا فى تفريقه بين أسس الإيقاع وأسس التنبير حيث يذهب إلى أن أسس الإيقاع عامة غالبا بين الأمم ، موحدة بدرجة كبيرة بين اللغات .

أما أسس التنبير ، فإنها مسألة تعارف واصطلاح أكثر من أن تكون مسألة ضرورة فسيولوجية ، ولذلك فهى مختلفة من لغة إلى لغة ومرتبطة — طبعا — بالمعنى .

---

1 — Stress Cr., 250

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٨

وفى تصورى أن التعارض بين الإيقاع والمعنى وحصر وظيفة الإيقاع فى الجانب الشكلى فقط من اللغة ليس حكما عاما فى كل اللغات ولا فى كل الظروف ، فقد يتفق نظام الإيقاع مع النظام المعنوى أو الدلالى فى بعض اللغات على نحو ما نراه فى اللغة الإنجليزية مثلا التى ارتبط فيها نظام الإيقاع بنظام النبر الذى هو خاضع للمعنى على ما هو معروف .

وربما كان ذلك وراء ما ذهب إليه بعض الباحثين فى الإنجليزية من التعبير عن النبر بالإيقاع ونسبة كثير من الوظائف اللغوية والمعنوية إلى هذا الأخير (١) .

وترجع القضية حينئذ إلى المتكلم وإلى مدى عنايته فى كلامه وفى أدائه بالشكل أو بالمعنى ولن يكون الإيقاع فى هذه الحالة سوى عنصر من العناصر التى يملكها المتكلم ويستطيع توظيفها على حسب أغراضه وأهـــدافه ، وقدراته ،ولقد مر بنا جميعا من يصنعون الصور الإيقاعية من أصوات اللغة ، مجردة تجريداً تاما من كل معنى بهـدف التسلية أو التلاعب وربمـا يكون ذلك بغير هدف ، ولقد ضحكت طويلا عندما طلب منى أحدهم أن أنطق هذا البيت :

من جج الجج وجاجحه   ججحت حجاه وجاجحجه

وهو كما ترى ليس إلا مجموعات من الوحدات الإيقاعية ملأها هذا الناطق بأصوات أغلبها من صوت الجيم على وزن قول الشاعر :

! . حسنت دنياه وآخرته

وكم للصغار فى هـذا الجانب من مقطوعات ينظمها الإيقاع بعيداً عن كل غرض أو معنى .

---

(١) انظر : Fry. p, 368

وإذا كنا قد عرفنا شيئاً عن الإيقاع وعن الوسائل التى تجعلنا نحس به فإنه يجدر بنا أن نتساءل عما يحدثه الإيقاع فى الكلام وعن تلك التقسيمات التى تتكرر محدثة ما يسمى بالجسم الإيقاعى سواء كان ذلك التقسيم حادثاً بسبب النبر أو بسبب غيره كالكم الزمنى أو التزمين ؟

إن التقسيمات أو التقطيعات الكلامية ذات ألوان عديدة منها ما يرجع إلى نظم اللغة ومنها ما يرجع إلى طبيعة التنفس وإخراج الكلام ومنها ما يرجع إلى أسوار وعوامل الإيقاع ، حيث يسمى كل قسم هنا بالوحدة الإيقاعية أو القالب الإيقاعى ، وهذه الوحدة تبدأ من المقطع .

فقــد اكتشف البرفسور دى جردت المقطع على أنه أصغر وحدة إيقاعية فى الكلام ، وأثار بذلك مشكلة أى شىء تكون الوحدة الإيقاعية التى تلى المقطع أو تلى هذه الوحدة الأولى ؟

ولقد حاولت « سيسيل » أن تحصل على تلك الوحدة فقامت بالتجربة التالية :

١ — استمعت إلى قطعة أدبية من اللغة الهولندية مرات عديدة .

٢ — استفادت من التسجيل لأنه يبعد الفروق التى تظهر عند المتكلم من وقت لآخر .

٣ — استفادت باستماع البروفسور بلانك Blancu وقارنت وحداتها بوحداته حتى تستبعد الفوارق فى الإدراك السمعى .

٤ — حرصت على عدم الالتفات إلى المعنى وركزت كل اهتمامها على الإيقاع .

وبهذه الطريقة حصلت على المجموعات الإيقاعية التى كانت تتكون من مقطع إلى ثلاثة مقاطع ، ولم تزد بأية حال عن خمسة مقاطع فيها مقطع

يجذب الاهتمام أى أنه بارز واضح ، واستنتجت من ذلك أن الحصول على المجموعات الإيقاعية فى اللغة الهولندية يكون عن طريق النبر ، ولذلك فقد سمت هذه المجموعات بالمجموعات النبرية(١) .

والظاهر أن ما استنتجته « سيسيل » فى اللغة الهولندية قد حصل عليه بالنسبة للغات أخرى .

فهذا «فاسيليف» يذكر أن المجموعة الإيقاعية فى اللغة الانجليزية يكونها المقطع المنبور المنطوق مع مقاطع غير منبورة ، ويقول إن المجموعة المعنوية يمكن أن تتكون من مجموعة إيقاعية أو أكثر وعندما توجد مجموعات إيقاعية عديدة فى المجموعة المعنوية فإن كلا منها سيأخذ فى النطق قدراً زمنياً واحداً تقريبا »(٢) .

وقد كرنا مسألة الزمن هنا بالتساؤل عما تستغرقه الوحدة الايقاعية من زمن عند النطق بها ؟

وقد فكر « دى جروت » فى هذا الموضوع ورأى أن الطول الأفضل للوحدة الايقاعية هو ٧٥ ٪ من الثانية مع تأرجح فى الواقع بين ثانيتين فى أكبر طول ونصف الثانية فى أصغر طول . لكن سيسيل لا ترضى عن هذا القول وتعلق عليه قائلة :

« إننى أعتقد أنه من غير الممكن أن يسجل وجود ميل نحو أى طول زمنى حقيق (أى غير نسبى) وذلك لأن الطول المطلق يتوقف على التزمين الذى ينطق به هذا الطول والتزمين يمكن أن يكون يختلف بدرجة كبيرة حتى فى مجرى أو ثنايا الجملة الواحدة »(٣) .

---

1 — Stress Groups, P., 249
2 — Eugl ..,Pho.., p. 180
3 - striss Gr.. ,P.. 250

ومن كل ما سبق يمكن القول بأن النبر والكم الزمنى هما المسئولان الأساسيان عن تكون الوحدات أو المجموعات الإيقاعية فى الكلام وأن دور النبر فى ذلك يبدو واضحا جداً لدرجة أن بعضهم يذهب إلى أن تكوين الوحدة أو المجموعة الإيقاعية لا يتوقف على النبر القوى وحده بل إن النبر الثانوى أيضا يعطى الفرصة لحدوث تلك المجموعة وذلك إذا كان محوطا بمقاطع غير منبورة ، ولكنه لا يكون قادرا على ذلك إذا كان على مقربة من نبر أساسى .

هذا وقد ذهب بعضهم(١) إلى أن الوحدة الإيقاعية فى العربية كانت عبارة عن مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة أى أنها كانت ناشئة عن الإيقاع الكمى وهذا الرأى يتفق مع ماذهب إليه المستشرقون ومن تبعهم من أن العربية الفصحى كانت خالية من النبر وقد رددنا هذا الرأى فى موضع غير هذا ، وربما تعرضنا لهذا الموضوع عند الحديث عن إيقاع الكلام المرسل فى العربية .

الإيقاع بين النظم والنثر :

وإذا كان الكلام قد استقر — كما هو معلوم — فى صنفين أو نوعين كبيرين هما النظم والنثر أو الشعر والكلام المرسل فإن الباحث عن الإيقاع لا يستطيع تجاهل ذلك التساؤل المهم عن موقف الإيقاع هذا التقسيم وعن ومدى تحققه فى كل قسم من هذين القسمين المعروفين ؟ .

والواقع أن للإيقاع هنا دوراً كبيرا فى عملية التقسيم والتنوع وفى تحديد الخصائص الأساسية بكل صنف من صنفى الكلام ، ومن الممكن

---

(١) انظر : كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٨

أن نتحدث عن ذلك بوضوح أكثر عندما نتناول قضية الإيقاع مع كل منهما على النحو الآتي :

١ — الإيقاع والشعر :

الشعر فن كلامي بديع ، ونظام لغـــوي رائع ، يخاطب الوجدان ويستثير العواطف ، وتصطنعه كل الأمم والشعوب ، وقد ذكر العلماء له تعريفات كثيرة من أشهرها قول قدامة بأنه عبارة عن « قول موزون مقفى يدل على معنى(١) » وهذا التعريف يمثل مذهب القدماء من علماء العربية الذين كانوا لا يرون في الشعر شيئا يميزه عن النثر إلا ما فيه من عنصري الوزن والقافية وقد رأى « أرسطو » من قبل أن الدافع الأساسي للشعر يرجع إلى علتين :

أولاهما : غريزة المحاكاة أو التقليد .

والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم(٢) ، وقد كان للنقاد بعد ذلك تعريفات كثيرة مختلفة ولا نكاد نجدهم يتفقون على تعريف واحد لهـذا الفن الخالد . « وليس من شك في أن النظم هو العنصر الأساسي للشعر . . . وأنه ليس شيئا ثانويا بالنسبة إليه ، إذا أنه الصياغة الموزونة ، والتعبير الموسيقي للفكرة ، ويؤيد ذلك صنيـــع اليونانيين وهم أرقى الشعوب من ناحية الفن وليس النظم في الواقع سوى الأداة الشعرية والتعبير الطبيعي لتأثير نفس أو لحالة من حالات الإحساس(٣) » .

أما الوزن فهو عبارة عن وضع منسق متشابه يكون هـذا الوضع

---

(١) نقد الشعر ص ١٣

(٢) د . أنيس : موسيقى الشعر ص ١٢

(٣) الأنواع الأدبية ٤٩/١

للحركات بالنسبة للرقص والأصوات بالنسبة للموسيقى والكلمات بالنسبة للشعر ، وكذلك النثر يحتوى على وزن أو على موسيقى نتيجة ترتيب الكلمات واتساقها غير أنه لا يخضع لقوانين ثابتة »(١) .

ويتضح لنا من تلك المقتطفات السابقة أن الشعر فى كل اللغات يعتمد اعتماداً كبيراً على ذلك الأساس الموسيقى الذى نسميه الوزن أو الإيقاع وإن كان نظام ذلك يختلف من لغة إلى أخرى .

وقد ذكر دى جروت(٢) من أصناف الشعر مايسمى بالشعر المقطعى Sy'labic versr ومايسمى بالشعر الفترى Pariodic Verse ومايسمى بالشعر الكلمى Word Verse

ويتضح مما ذكره وغيره أن اللغات التى تسمى لغات كمية تعتمد فى إيقاع شعرها على الكم الزمنى لمقاطعها وتفرق بين مقاطع قصيرة وأخرى طويلة ومن هذه اللغات ما يسمى باللغات القديمة أو الكلاسيكية فمقاييس شعرها تستقر وتبنى على التقويم الكمى لمقاطعها وإنه ليمكن لمقاطع طويلة وأخرى قصيرة أن تجتمع مع بعضها فى ترتيبات مختلفة لكى تكون وحدة عروضية « تفعيلة » وهكذا تنشأ البحور وتسمى تلك اللغات كما سبق باللغات الكمية ، حيث اعتمد الإيقاع فيها على الجانب الكمى .

أما اللغات التى تسمى باللغات النبرية فإن تلك الوحدات تتكون فيها ليس على أساس الكم الزمنى لمقاطعها وإنما على أساس التوزيع النبرى على تلك المقاطع ، إنها تزن ثقلها وتفرق بين مقاطع ثقيلة وأخرى خفيفة ، رفعات وخفضات ، ويمكن أن تجتمع تلك الرفعات والخفضات مع

---

(١) المرجع السابق ٤٩/١

2 — Manual of phonetics, p., 539

بعضها بطرائق مختلفة على صور مجموعات نبرية فتنشأ بذلك الصور المناظرة لعروض اللغات الكلاسيكية(١) .

الإيقاع إذن ضرورى فى الشعر ، إذ أنه أحد أسسه وأركانه التى يقوم عليها ، وسواء كان ذلك الإيقاع كمياً أو نبرياً أو معتمداً على غير ذلك ، فإن التفكير اللغوى مازال يبحث عن سببه وعوامل نشأته ويحدثنا « فون اسن » عن ذلك حديثاً طويلا يمكن إجماله فيما يأتى :

— لقد توصل الهر Bucher — على أساس من الملاحظات الدقيقة المعتنى بها ، وخصوصاً على الشعر البدائية إلى الاقتناع بأن إيقاع قرض الشعر قد نشأ أو هو ناشىء من إيقاع العمل والشغل، إن الأغلبية الساحقة من أنواع الحركة فى العمل تشغل قطعاً زمنية متساوية كل قطعة منها قريبة من سابقتها ولاحقتها ، وهى متعاقبة فى ترتيبات متشابهة ، ومثال ذلك : الحك على سطح بقضيب ، أو حركة حجر الرحى ، أوضربات على لحا الشجر لقطعها ، أو الدوس بالأقدام على العشب لعصره ، ومع هذا فإن مما يشبه القاعدة أن بعض الحركات تتطلب قدراً من الطاقة المبذولة أكثر من غيرها .

وكذلك فإن الوترين الصوتيين يتقاربان أحدهما من الآخر — عند الإجهاد الجسمى — ليمكننا من حبس الهواء فى الرئتين ، دعما لقوة الجسم وتعضيداً له وبذلك الاقتراب ينشأ تصويت خفيف غير مقصود ، وتتكرر ضوضاء العمل، وتعود بصورة دورية، فتحرك الشهية وتثير الإنسان للتقليد ، الذى تنشأ بسببه دندنة موزونة بوزن إيقاع العمل ، وتركب على تلك الدندنة فيما بعد كلمات باعتبارها حاملات

---

(١) انظر Von Essen... 191 — 193

للنغم ، أى على أنها فقط مجرد مادة تحمل الأنغام ، ويحدث هذا على الأخص فى الظروف الطقوسية أى مع الحركات التى تقتضيها بعض الأعمال ذات الطابع الدينى ، ويتكرر استعمال تلك الارتجالات البارعة ، وتتناقل (بحيث تصير من المأثورات) ويبقى إيقاع العمل الذى تحقق فيه ذلك مرة ، ويقلد بقصد اللعب ، فى الرقص البدائى .

وهذا يعنى أن الحركة الإيقاعية فى العمل هى الأصل فى منشأ الأغنية، أما الرقص فإنه هو القولبة التقدمية فيه (أى التى أتت فى طور تال) وعندما يغيب الرقص تأخذ الأغنية استقلالها ، مع احتفاظها لزمن طويل بطابعها الرقصى، ثم تخترع نصوص جديدة على تلك التنغيمات أو الموسيقيات التى كتب لها البقاء .

وهنا تنبت أو تنبثق عملية قرض الشعر متخذة لنفسها إطار الخارطة الإيقاعية لأغنية الحركة العملية أو الرقصية ، وتظل فى هذا الإطار حتى تتخلص من تلك الخطوط التنغيمية ، التى كانت مقرونة بها ، أو التى سبق أن اقترنت بها وتأثرت بها أو احتذتها ، وتخطو إلى الإيقاعات المكتسبة .

وأخيراً تتبنى إيقاعات خاصة بها ويزداد هذا الشعر دائماً وأبداً ابتعاداً عن الفكرة الرقصية الخالصة ، وعلى هذه الصورة بقى الإيقاع الذى هو ميراث زمن أغنية العمل وأغنية الرقص ، وكخارطة للتحرك مرسومة سلفاً ، وكإطار منظم للتكلم ، إطار يملأه الشاعر بكلمات ، يكون الإيقاع الشكلى الذى يعطى القالب ، ويكون إيقاعاً حقيقياً للكلام بتحقيق وتنفيذ حقيقى لتعاقب مقطع طويل مع مقطع قصير ، وتعاقب مقطع ثقيل مع مقطع خفيف .

إذ أنه عند كثير من الشعوب يبقى فى الوعى المسار الزمنى لحركة إدارة الرحى ، أو لحركة دوس العنب لعصره ، أو لحركة أى عمل آخر ، وعند شعوب أخرى يقع فى الوعى بدلا من المسار الزمنى الجهد المبذول أو الطاقة المبذولة ، ومعنى ذلك أن بعض الشعوب قد قاسوا الزمن فوصلوا إلى تقويمهم العروضى أما الآخرون فقد قاسوا الطاقة فوصلوا إلى التقويم النبرى(١) .

تلك هى وجهة نظر الغربيين فى نشأة إيقاع الشعر والعروض وللعرب كلام يشبه هذا يرتبط أكثر بحركات سير الإبل والدواب فى صحاريهم الواسعة وجزيرتهم المترامية الأطراف ، ولتفصيل ذلك موطن آخر .

الإيقاع والنثر أو الكلام المرسل :

يمكننا أن نتساءل بعد هذا الحديث عن إيقاع الشعر : هل هناك إيقاع فى الكلام المرسل ؟ وإذا كان فلماذا لا يبدو واضحا متمثلا مثل إيقاع الشعر ؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل فإنه يتحتم علينا أن نقسم الكلام المرسل إلى صنفين أو قسمين كبيرين : قسم أو صنف نطلق عليه الكلام العادى حيث يتحدث الإنسان بطبيعته فى أغراضه ، وأعماله اليومية والمعيشية .

ومما لا شك فيه أن نصيب الإيقاع فى مثل هذا الصنف سيكون ضئيلا إذ أن الغرض هنا سيكون متجها أكثر إلى توصيل الفكرة والمعنى وعلى هذا فإن الاهتمام بالمعنى سيكون كبيرا لدرجة قد ينسى المتكلم معها كثيرا من مظاهر التأنق والتجمل فى نطقه وتعبيره ،

ولكى يتثبت الإنسان من ذلك فإنه يكفى أن يتأمل حديث أى شخص

---

1 — Van Essen, 193

معه فإنه إذا أخذ قطعة من هذا الحديث وسجلها وحاول إستخراج المجموعات الإيقاعية منها فإنه سيجد فى ذلك صعوبة كبيرة .

ومن أجل هذا فإنه كثيراً ما تصادف الباحث صعوبات فى تحديد نبر المجموعة تكاد تثنيه عن عزيمته إلا إذ كان له وراء ذلك هدف لا يمكن التخلى عنه(١) .

ويمكن أن يدخل فيما سميناه بالكلام العادى كثير من ألوان الكلام مثل الكلام العلمى والموضوعى الذى لا يقصد ، فيه المتكلم إلا إثبات نظرية أو شرح قضية بعيداً عن العواطف وعما يتصل بهما من الأحاسيس المختلفة .

كذلك يمكن أن نضيف أو نضع هنا : الكلام الإخبارى الذين يهدف المتكلم من ورائه إلى إخبار المستمع بحادثه أو موضوع ، ويشبه هـــذا نشرات الأخبار فى الإذاعة المسموعة والمرئية فى نطق المذيعين المثقفين صوتيا وأدائيا .

٣ — أما القسم الثانى فإنه يمكن أن نسميه : الكلام الأدبى وهو الكلام الذى يعنى بمظاهر الجمال فى النطق والأداء ويهدف من وراء ذلك إلى مخاطبه العواطف واستثارة الأحاسيس ، بجانب توصيل المعنى والعناية بالأفكار .

فكثير من الادباء يميلون إلى صنع إيقاعات واضحة فى كلامهم ، بصور مختلفة .

وهم عندما يكتبون يتذكرون قول بعض الباحثين : « إن كل لغة تكون

---

(١) أنظر Stress Croups, P , 249 — 50

من أجل النطق ، وإذا هى لم تنطق جيداً فإن العيب سيكون فى أسلوب الكاتب ، الذى يمكن ألا تكون عنده حيوية كافيه . ليسمح بالنطق الإيقاعى »[1] .

ومن أجل هذا فإنهم يستعملون وسائل مختلفة وصورا عديدة لإبراز مظاهر الإيقاع فى أعمالهم مع مراعاة أنهم يختلفون فى درجة الاهتمام بذلك « فكلما كان المتكلم أو الاديب قد زاد ربط حديثه بقالب إيقاعى كلما صارت صورة المتكلم « ملتزمة » ، وكلما اقترب بذلك أيضا من صورة الكلام المصوغ أو المقولب شعريا »[2] .

وإذا كان هناك فى الشعر قوالب إيقاعية يصب فيها الكلام ويوضع بحيث تكون ملتزمه على طول الخط ولا يمكن للكلام أن يكون شعرا إذا تخلى عنها أو جاء على ضدها فهل يكون الأمر كذلك بالنسبة للكلام المرسل ؟

إن الكلام المرسل ليست له « خريطة إيقاعية » تلتزم فيه وتكون أساسا له إذ أنه غالبا ما ينساب دون أن يكون إيقاعيا . لكننا نصادف فيه — كثيراً — ميلا خاصا إلى تكوين وصنع فترات إيقاعية قابلة للادراك »[3] .

وتأتى هذه الفترات على صور متعددة :

« فبعض المتكلمين يميل إلى وضع الكلمة التى تمثل أهم عضو فى الكتلة المنطوقة من ناحية الفكرة فى الآخر ، على حين يميل آخرون إلى وضعها

---

1 - Mrs. Em, Hederson, Cod Speohing, P., 70

2 - Von Essen,.. 5 - 195

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤

فى الأول . وبالمثل لو أراد أن يميز أو يفاضل بين كلمات هى أعضاء فى جملة أو أعضاء فى قطعة من جملة فإنه يؤثر هذا المميز بالموضع الأخير أو بالموضع الأول . .

« كذلك سنجد ترتيبات من تعاقب مرتب أو مقنن : تعاقب من رفع وخفض بصور شتى ، ولكن قلما يحدث أن يجرى هذا التعاقب فى تتال يسلك كل القطعة المنطوقة من أولها إلى آخرها ، ويكون واضحا فى هذه الحالة أن هذا التعاقب يخضع لتنظيم إيضاحى قد رسمه المتكلم أو المؤلف لنفسه سلفا »(١).

« ولكن مفهوم الإيقاع يمكن أن يتصور — بشكل عام — على أنه تنظيم زمنى وبهذا المعنى فإن الكلام المرسل بلا شك مقولب إيقاعيا ولقد قام mohnkon ببحوث نافذة إلى النفس عن الإيقاع الزمنى (اى الإيقاع الذى تتكون عناصره من الكم الزمنى) .

كل هذه الصور تسهم فى صنع الإيقاع بالكلام المرسل ويهمنا منها هنا تعاقب الرفع والخفض وتبادلها فى صورة محببة تسهل الادراك الإيقاعى وتيسر التصور القالبى وذلك عن طريق النبر .

وإذا كنا قد عرفنا موقف النبر من إيقاع الشعر فى العربية فإننا يجب أن نعرف موقفه هنا بالنسبة لايقاع النثر . لكننا يجب أن نتذكر أن دور النبر فى ايقاع الشعر قد حظى بألوان من الدراسة إن لم تكن كاملة فإنها تنير الطريق إلى حد ما أما دوره فى إيقاع النثر فإننا لا نعلم من تعرض له بغير النزر اليسير . وذلك أمر طبيعى حيث إن دراسة « النبر » نفسها لم

(١) المرجع نفسه ص ١٩٤

تلق بعد العناية الكافية من جمهور الباحثين نظرا لصعوبتها ومشتقتها .

ويهمنا هنا أن نشير إلى ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن الإيقاع فى العربية القديمة (الظاهر أنه يقصد الفصحى) كان « إيقاع كمية » شبيها بالإيقاع فى اللغة السنسكريتية الفيدية (أى لغة القداس وهى الكتب المقدسة الهندية) وبالإيقاع فى الشعر الغنائى عند اليونان، ويعتمد الإيقاع فى العربية القديمة على مقابلات بين مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة تحتوى، أيضا على قافية فى أواخر الأبيات . . (١٩٨) (كانتينو) .

أما الإيقاع فى الألسن الدارجة العربية الحديثة فإنه يقول عنه : « لقد اعتل إيقاع الكمية فيها اعتلالا شديدا ، وذلك لذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة (الناتج عن سقوط كثير من الحركات القصيرة الواقعة فى مقاطع منفتحة) بل ولقد اضمحل إيقاع الكمية من لهجات المغرب العربى وذلك لاضمحلال المقاطع القصيرة اضمحلالا صار مدى جميع المقاطع معه مدى متماثلا ، ويبحث الآن أصحاب هذه اللهجات على نوع آخر من الإيقاع كما وقع ذلك فى اللغات الرومانية إثر اضمحلال الإيقاع الكمى اللاتينى منها(٢) » .

هذا هو كلام « كانتينو » ومنه يتضح أنه لا يجعل للنبر أى دور فى الإيقاع فى العربية الفصحى ، وهذا ليس بغريب منه إذ أنه على ما يبدو يشارك جمهرة المستشرقين فى إنكار وجود النبر فى العربية الفصحى وسوف نعرض لهذه القضية فيما بعد .

« يذكر الدكتور تمام حسان أن المسافة بين أى حالتى نبر فى المجموعة

---

(١) كانتينيو : دروس فى علم أصوات العربية ص ١٩٨

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨

الكلامية سواء كان كلاهما أوليا أو ثانويا أو مختلفا لا تتعدى أربعة مقاطع . والواقع أن هذه المسافة يتحكم فيها عامل الإيقاع في الكلام العادى ولا يظن ظان أن النبر فى الكلام المتصل (أو فى المجموعة الكلامية على حسب ما نسميه هنا) يقع أوليا فثانويا فأوليا فثانويا على التعاقب فربما تجاورت حالات من الأولى أو من الثانوى دون أن يتخللها النوع الآخر ولكن الملاحظ أن المسافات بين كل حالتى نبر تبدو كأنها متساوية تقريبا، وهذا ما نسميه الإيقاع ، وللقارىء إن شاء أن يتأمل كلامه ، ويحدد المسافات بين حالات النبر وسيجد هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح ، ولنا على كلام أستاذنا بعض الملحوظات نرجو ألا يجانبنا فيها الصواب :

١ — أن الدكتور لم يقدم لنا أى مثال لما ذكر ، ومما لا شك فيه أنه لم يأت بهذه القاعدة من فراغ وإنما بناء على ملاحظات واختبارات وقياسات على قطع من الكلام العربى المنطوق وأظن أنه لو قدم لنا مثالا من ذلك لكان قد منحنا توضيحا لهذه الفكرة الجديدة نسبيا فى بيئتنا العربية بالإضافة إلى أن تقديم هذا المثال لم يكن مطولا للكلام إلى أى حد من التطويل الممل .

٢ — يفهم من كلام الدكتور أن الإيقاع — بمعنى تساوى المسافات تقريبا بين كل حالتى نبر — شىء طبيعى فى الكلام العادى ويستطيع كل إنسان أن يجده ويحسه بتحديد المسافات بين حالات النبر ومعنى هذا أن اللغه العربية لغة إيقاعية تماما مثل اللغة الإنجليزية وأن الإيقاع ونظام النبر فيها متفقان بحيث يكون الكلام العادى موقعا دون تعمل أو تكلف وهذا أمر يحتاج إلى اثبات فيما أتصور . وبخاصة وأننا قد علمنا أن نصيب الكلام العادى من الإيقاع يكون ضئيلا .

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ١٦٣

٣ — يفهم من كلام الدكتور أن المهم فى حدوث الإيقاع هو تساوى المسافات بين كل حالتى نبر سواء كانا ثانويين أو رئيسيين أو مختلفين ولكنه قبل ذلك فى ص ١٦١. يقول : « فإذا وضعت قاعدة المسافة بين الأولى والثانوى بعدد من المقاطع ظهر الايقاع اللغوى الخاص باللغة العربية ».

ويفهم من هذا — إذا صح نظمنا فيه — أن ظهور الإيقاع مرتبط بوضع قاعدة المسافة بين الأولى والثانوى. وهذا يناقض قوله السابق من أن الإيقاع هو تساوى المسافات بين كل حالتى نبر مطلقا الا اذا كان يقصد ان هناك ايقاعا خاصا بالكلمات وإيقاعا خاصا بالكلام المتصل او المجموعة الكلاميه ولكل منهما طريقة فى صنعه وظهوره.

أما الدكتور عبد الرحمن أيوب فإنه يفهم من كلامه أن الإيقاع هو اطراد الطريقة التى يحدث بها الضغط، والإيقاع هو الجانب السماعى للضغط فهذا الأخير أمر مادى يحدث فى جسم المتكلم ويتمثل فى عدد من الحركات الفعلية التى تدفع الهواء على نحو معين أما الإيقاع فأمر وجدانى يدركه السامع » (١).

والحق أن موضوع الإيقاع فى اللغة العربية عموما شعرها ونثرها يحتاج إلى بحث عميق وطويل ولا يمكن قيام هذا البحث إلا بعد الانتهاء من دراسة « النبر » وغيره من العناصر التى تصنع الإيقاع. وإذا كان السابقون من أسلافنا قد قاموا بجهود جبارة فى اظهار ألوان من الإيقاعات فى عروض العربية وفى نثرها مثل السجع وغيره فإن واجب الأخلاف أن يظهروا الألوان الأخرى من الإيقاع التى تتمتع بها اللغة العربية.

ولهذا حديث آخر نسأل الله أن يعين عليه.

عبد الله ربيع محمود

---

(١) أصوات اللغة ص ١٥٢

المراجع

أولا : أهم المراجع العربية

١ — أصوات اللغة

د . عبد الرحمن أيوب . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦٨ م

٢ — الإيقاع الشخصى والإيقاع فى الشعر المفضل .

عبد السلام أحمد الشيخ . رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة

٣ — البيان والتبيين .

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون بمكتبة الخانجى . الطبعة الرابعة . وطبعة أخرى، تحقيق : محب الدين الخطيب ١٣٣٢

٤ — جمهرة اللغة :

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى . دار صادر بيروت

٥ — علم أصوات العربية :

كانتنيو . ترجمة : صالح القرمادى . طبعة تونس ١٩٦٦

٦ — عن النبر فى نطق العربية الفصحى بالعالم العربى المعاصر .

د . عبدالله ربيع محمود . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة

٧ — القاموس المحيط :

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى . مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الثانية ١٩٥٢

٨ — كمال أدب الغناء :
الحسن بن أحمد بن على الكاتب . تحقيق غطاس عبد الملك خشبة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥

٩ — لسان العرب .
ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى . طبعة مصورة عن طبعه بولاق

١٠ — اللغة :

فندريس . الطبعة الأولى .

١١ — مقاييس اللغة .
أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون الطبعة الثانية : مصطفى البابى الحلبى .

١٢ — من التزمين فى نطق العربية الفصحى فى مصر المعاصرة :
د. عبد العزيز أحمد علام . رسالة دكتوراه بمكتبه كلية اللغة العربية بالقاهرة

١٣ — مناهج البحث فى اللغة :
د. تمام حسان الأنجلو المصرية ١٩٥٥

١٤ — موسيقى الشعر
د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢

١٥ — نظرية الأنواع الأدبية :
د. فنسنت . ترجمة د. حسن عون منشأة المعارف ـ الاسكندرية ١٩٥٨

١٦ ـ نقد الشعر :
قدامة بن جعفر .

ثانيا : المراجع الأجنبية

1 - Henderson : good Speaking, london 1948.

2 - Rovsselote, : principes Dep Honetigue exPerimntat, paris 1925

3 - Vassilyes : English phonetics, leningrad 1968

4 - miss cecilevereecken : striss Croups, P. 299

5 - R,m. Shffner: geneal phonetics 227 maaison the universtyof Wisconsin press 1960

9 - Fry : Prosodic Phonena - manual of Phonetics london 1970

7 - VonEssen : Allgmeine und Angewandte Phonetick Perlin 1953.



د . محمد السيد متولى البغدادى

مدرس اللغويات بالكلية

هذا البحث يتناول علما من أعلام النحو فى عصره . وتتعرض الدراسة لمنهجه فى النحو ، وتبيان مكانته العلمية بين النحاة ، ومما يدل على هذه المكانة العلمية أن الذين جاءوا بعد أن انتفعوا به ، أشادوا بزيادته فى هذا العلم ، واستشهدوا بكثير من آرائه ، وجعلوها فيصلا فى كثير من القضايا النحوية ومن ثم فالدراسة تتناول الآتى :

التعريف بابن إياز ، ومدى تأثره بالنواحى الثقافية والسياسية خلال الفترة التى عاشها فى القرن السابع الهجرى ، وسوف أبين أنه رغم الحياة السياسية المتقلبة ، واشتغال الناس بالفتن والحروب وفساد الحكم ، كان هناك ازدهار للعلم ولحركة التأليف وسأعطى مثالا لذلك ، وهو المدرسة المستنصرية أو (الجامعة المستنصرية) كما سماها المؤرخون ، كى تدل على مدى التقدم العلمى فى هذا العصر ، ولما لها من علاقة كبيرة بابن إياز ، حيث عين شيخا لتدريس اللغة العربية بها .

ثم أتكلم عن العلماء الذين أخذ عنهم ، والذين برزوا فى علوم عدة بالإضافة إلى العربية ، وتثقيف فكرة ثقافة العصر الذى يعيشه إلى جانب اختصاصه النحوى ، وهى سيرة علماء تراثنا الخالد .

ثم تكلمت عن تلاميذه ، فكما أخذ عن علماء برزوا فى علوم كثيرة ، كان له أيضا تلاميذ قرأوا عليه النحو والأدب ، وكانوا أعلاما فى عصرهم .

وذكرت جانبا مما خلفه لنا من مؤلفات تدل على فضله الجم وعلى علمه الغزير ، وبينت أن هذه المؤلفات بعضها يذكر المسائل العلمية بما فيها من آراء مختلفة ، يقوم بمناقشتها مرجحا أومضعفا مع إبداء رأيه فى كثيرمنها .

وذلك كما فى كتابه (القواعد فى النحو وبعضها الآخر شروح وتعليقات على مؤلفات غيره ، تناولها بالبحث والشرح والتحليل) .

وذلك كما فى كتابه (المحصول فى شرح الفصول ، وأعطيت صورة

واضحة عن منهج ابن إياذ ، وانتمائه إلى إحدى المدرستين البصرية والكوفية وبدأت ذلك بإعطاء صورة عن منهج وطابع كل مدرسة فى تناولها للدراسات النحوية ، وأعطيت كثيرا من الأمثلة من خلال مؤلفاته لتوضح منهجه ، ثم تحدثت عن مصادر الاستشهاد عند المؤلف ، وبينت موقف العلماء من الاستشهاد بهـــذه المصادر ، وأيضا موقف المؤلف منها ، أبدأ وبالله التوفيق .

التعريف به

هو جمال الدين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله ، كنيته أبو محمد ، ولم يذكر المؤرخون شيئا عن محل وتاريخ ولادته .

قال السيوطى(١) فى ترجمته : (الحسين بن بدر بن إياز بن عبـــد الله أبو محمد العلامة جمال الدين ، كذا ساق نسبه ابن رافع فى تاريخ بغـداد ، وقال : كان أوحد زمانه فى النحو والتصريف وأجاز له الشيوخ ، وكان دمث الأخلاق ، مات ليلة الخميس ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وثمانين وستمائة) ا ، هـ .

وقال بروكلمان(٢) : جمال الدين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله أبو محمد البغدادى ، ولى مشيخة النحو فى المستنصرية ، وتوفى سنة ٦٨١هـ ١٢٨٢م ، اهـ .

وقال رضا كحالة (٣) : حسين بن بدر بن إياز أبو محمد نحوى صوفى

---

(١) انظر بغية الوعاة (١/٥٣٢) .
(٢) انظر تاريخ الأدب العربى (٥/١٨٥) .
(٣) انظر معجم المؤلفين (٣/٣١٦) .

٦٨١ هـ ، ١٢٨٢ ، من آثاره المحصول فى شرح الفصول الخمسين فى النحو، والمطارحة ، والإسعاف فى الخلاف . اهـ .

وقال الفيروزا بادى[1] : الحسين بن أبان[2] النحوى المنعوت بالجمال، إمام متأخر ، أخذ عن الأستاذ أبى عثمان سعد بن أحمد الجذامى البيانى البغدادى ، وكان ذا حفظ حسن ، ثقة فيما يكتب ويقول ، مدرس النحو بالمستنصرية ، مات سنة ٦٧٤هـ ، اهـ .

مما تقدم يتبين لنا أن المؤرخين لم يذكروا شيئا عن بلده وتاريخ ولادته ، ولكن يغلب على الظن من نسبتهم إياه إلى بغداد ، أنه نشأ ببغداد وكانت حياته بها ، وأجمع الرواة على سنه وفاته ما عدا الفيروزبادى فى بلغته ، فهو يضع وفاته سنة ٦٧٤ هـ .

---

(١) انظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٦٨ .

(٢) وبه قال السيوطى فى الهمع فى حذف ما علم من المبتدأ والخبر، قال فى الهمع (١/١٠٣) : (وإذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ خبرا ، فأيهما أولى ؟

قال الواسطى : الأولى كون المحذوف المبتدأ، لأن الخبر محط الفائدة .

وقال العبدى : الأولى كونه الخبر ، لأن التجوز فى الجملة أسهل ، نقل القولين ابن أبان) اهـ .

وكلاهما تصحيف ، قال ناجى معروف فى تاريخ علماء المستنصرية (١/٦٥) : (وابن إياز شيخ النحو بالمستنصرية قد تصحف إلى : سراباز أو ابن أبان) اهـ .

النواحي الثقافية والسياسية خلال الفترة التي عاشها :

عاش ابن إياز في العصر الأخير من الدولة العباسية ، وهو العصر السلجوقي بعد أن دالت بني بويه ، وضعفت شوكتهم ، وصاروا خبرا من الأخبار المروية ، وذلك في منتصف القرن الخامس الهجري وكانوا يسوسون البلاد في شيء من الصرامة والشراسة ، والخليفة العباسي الجالس على كرسي الخلافة يعاني منهم الكثير من العنف والبطش ، والمزيد من الهوان ، حتى آذن الله لعهدهم أن ينقضي ، ولسلطانهم أن يزول ، وجاء التتار يحملون راية الدمار والتخريب ، ودخلوا بغداد في عام ٦٥٦ هـ يسفكون الدماء ، ويستبيحون الأعراض ، وقد أمر هولاكو بقتل المستعصم بالله آخر خليفة عباسي .

ومع هذه الحياة السياسية المتقلبة ، كان هناك ازدهار للعلم وتوسع فيه ، وبرز علماء في كل فن ، وخاصة علوم اللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن والسنة النبوية ، وهي اللغة الرسمية للدولة .

قال جرجي زيدان(١) : (فالانقلابات السياسية المشار إليها أثرت في الأحوال الاجتماعية ، لاشتغال الناس بالفتن والحروب وفساد الحكم لكن تأثيرها في آداب اللغة لم تظهر ثماره إلا في العصر المغولي .

أما العصر العباسي الرابع الذي نحن بصدده ، فقد ظهرت فيه ثمار آداب اللغة العربية التي نمت وأورقت وازدهرت في العصر العباسي الثالث ، إذ تسابق الناس إلى الاشتغال بالعلم والأدب ، وتكاثر الأمراء المسلمون في هذا العصر ، واختلفت لغاتهم وعناصرهم ولكنه كانوا يتنافسون في تنشيط اللغة العربية ، لأنها لغة الدين والعلم والسياسة ، فازدهرت

---

(١) انظر كتابه تاريخ الأدب العربي (٣/١١) .

فازدهرت وكثرت فيها المؤلفات (لكن على أسلوب يخالف أساليب العصور الماضية) أ هـ

ويقول ناجى معروف (١) : (يمكن أن نستنتج أن العرب بوجه عام فى العصور العباسية المتأخرة، وفى العصور المظلمة انصرفوا إلى العلم، وضربوا فيه بسهم وافر، وتركوا ميادين السياسة والحروب وأمور الجيش وإدارة الأمن لغيرهم من المسلمين) اهـ

فى هذا الجو العلمى نشأ ابن إياز، فكان لذلك أثر كبير فى تكوين شخصيته العلمية، ولنأخذ مثالا، وهو (المدرسة المستنصرية) أو (الجامعة المستنصرية) كما سماها المؤرخون، لتدل على مدى التقدم العلمى فى هذا العصر، ولما لها من علاقة كبيرة بابن إياز حيث عين أستاذاً وشيخاً لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة.

ونتيجة لما لهذه الجامعة من أثر فى تكوين حياة ابن إياز العلمية أرى لزاما على أن أعطى صورة مختصرة عن نشأتها وطرق التدريس بها.

الجامعة المستنصرية

أنشأها (٢) الخليفة العباسى المستنصر بالله سنة ٦٢٥ هـ، وذلك بعد أن تولى منصب الخلافة بسنتين، إذ بويع بالخلافة (٣) سنة ٦٢٣ هـ وذلك

---

(١) أنظر كتابة تاريخ علماء المستنصرية (١٣٧/٢).

(٢) يراجع فى نشأتها : الحوادث الجامعة (٥٣) وخلاصة الذهب المسبوك (٢١٢، ٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) أنظر تاريخ علماء المستنصرية (١٤٥/٢).

بعد أن توفى والده أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ، وكان موقعها على شط دجلة ، مما يلى دار الخلافة ، واستمر العمل بها ست سنوات وتم افتتاحها بيد الخليفة المستنصر بالله عام ٦٣١ هـ .

ظل التدريس بها أربعة قرون منذ افتتاحها حتى ١٠٤٨ هـ . عدا فترتين من الزمن : الأولى قصيرة ، وكانت فى أثناء الاحتلال المغولى لبغداد عام ٦٥٦ هـ إذ عطلت المدارس والمساجد ، والثانية طويلة ، وتبدأ من احتلال الجيوش اللنكية لبغداد بقيادة تيمورلنك (١) .

المستوى العلمى فى المستنصرية

كانت المستنصرية فى مستوى علمى عال يضاهى المستويات العلمية فى جامعاتنا اليوم ، بل من الممكن أن أقول إنه يزيد عليها فى كثير من المواد النظرية ، ويتبين لنا هذا المستوى العلمى من عدة أمور هى :

١ — المستوى العلمى للمدرسين والمعيدين :

كان هؤلاء يتخيرون من بين كبار المدرسين والشيوخ فى العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، ممن حصلوا على إسناد عال ، أو انتهت إليهم رئاسة العلم ، أو عرفوا بالبحث والاستقراء عن الحقائق العلمية ، وبما لهم من مؤلفات . والتى مازالت تعد من المصادر المهمة للثقافة العربية والفكر الإسلامى .

٢ — صفة الطلاب الذين كانوا يقبلون فى هذه الجامعة :

إن هؤلاء الطلاب كانوا يتخيرون من الفقهاء النابهين ليكونوا

---

(١) أنظر المراجع السابق (١/٤٢ ، ٤٥ — ٢/٤٢ ، ٤٣) .

طلابا بالمستنصرية أى بعد أن تكون لهم شهرة علمية فى التاريخ أو التدريس (١) .

٣ — وسائل الإيضاح بها :

ومما يدل على رفع المستوى العلمى لطلابها وجود مؤسستين بها :

الأولى مستشفى لدراسة الطب ، وإجراء التجارب الطبية ومعالجة المرضى .

الثانية دار كتب عامرة بأنواع المؤلفات (٢) .

وكان لكل قسم ناظر يختار من بين موظفى الدوله ، يساعده عدد من المستخدمين لتولى مصالح القسم الإدارية (٣) .

وكان الخليفة هو المشرف على الجامعة ، وكان تعيين المدرسين يتم بصدور توقيع من الخليفة ، وهذا يشبه الإدارة الملكية أو المرسوم الجمهورى اليوم ، ثم يخلع عليه الخليفة الخلعة الخاصة بالتدريس ، وقد يعطى بغلة من القصر ، وهى بمثابة سيارة خاصة .

وحينما يخرج المدرس إلى التدريس بالمستنصرية يرافقه الولاة والحجاب وصاحب البريد وصاحب الديوان ، وعدد من أرباب المناصب احتراما له واحتفاء به ، ثم يجلس على سدة التدريس ، ويلقى بحثه ، وعلى عمامته طرحة يلبسها من دار الخلافة . فإذا عزل من التدريس أخذت منه هذه الملابس (٤)

---

(١) المرجع السابق (١/٥٣) .

(٢) أنظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٧٧) ، وتاريخ المستنصرية (١/٥٥)

(٣) المرجع السابق (١/٧١) .

(٤) المرجع السابق (١/١١٥)

ولم تقتصر الدراسة فى هذه الجامعة على العلوم الدينية بل عينت بدراسة علوم القرآن ، والسنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية ، والرياضيات ، وعلم الطب ، وحفظ قوام الصحة(١) .

وسوف أتحدث باختصار عن مدرسة واحدة ، هى مدرسة (٢) علوم اللغة العربية لما لها من علاقة بشيخنا ابن إياز .

اهتمت دار الخلافة الإسلامية باللغة العربية اهتماما كبيرا وذلك لأنها لغه القرآن والحديث ، ولغة الدولة الرسمية ، ولغة الثقافه العامة ، ولم يكن بالمستنصرية مبنى خاص لتدريس اللغة العربية وآدابها ،وذلك لأن الأقسام العلمية المختلفة كانت تعنى بالعربية باعتبارها الأساس القوى الذى ترتكز عليه علوم الشريعة الإسلامية ، ويستند إليه العلماء فى فهم القرآن الكريم والتمكن من تفسيره والإحاطة بالأدب العربى شعرة ونثره ، وقد اختير لتدريس العلوم العربية نحوى يقوم بمهمة تدريس النحو ، وبيان غوامضه وابن إياز هو الذى اختير لهذه المهمه ، قال الصفدى (٣) : ولى مشيخة بالمستنصرية .

العلماء الذين أخذ عنهم

أخذ ابن إياز عن كثير من العلماء الذين اشتهروا فى عصره ، وبرزوا فى علوم كثيرة بالإضافة إلى العربية ، بغية تثقيف فكره ثقافة العصر الذى يعيشه إلى جانب اختصاصه النحوى ، حتى قال السيوطى فى ترجمته : (وقال ابن رافع : كان أوحد زمانه فى النحو والتعريف وقال أبو حيان : ابن إياز أبو تعاليل) أ هـ

---

(١) المرجع السابق (٢٧/١)

(٢) أنظر الحوادث الجامعة (٤٢٦) ، تاريخ المستنصرية (٩/٢).

(٣) أنظر الوافى بالوفيات (٦٢/١١)

وقال الفيروزبادى : (وكان ذا حفظ حسن، ثقة فيما يكتب ويقول):
اهـ وسأذكر ترجمة مختصرة لشيوخه :

أولا — سعد المغربى :

ذكره المصنف كثيراً فى كتابه : القواعد، وشرح الفصول الخمسين، وقد وصفه صراحة بأنه شيخه الذى قرأ عليه ، وهو : سعد بن أحمد بن أحمد بن عبــــد الله أبو عثمان الجذامى الأندلسى النحوى المالكى قال السيوطى[1] فى ترجمته : (روى عنه الشرف الدمياطى ، وقال : رأيته ببغداد يقرىء النحو ، وممن قرأ عليه ابن إياز . قلت : ونقل عنه تلميذه ابن إياز فى شرح الفصول فى مواضع عديدة ، وسماه سعد الدين ، وذكر أنه شرح الجزولية) اهـ .

وقال ناجى[2] معروف : (وقد ورد ذكر ابن إياز فى ترجمة الحسن بن مطهر الحلبى لعلاء الدين على بن إبراهيم بن زهرة العلوى الحلبى قال : (ومن ذلك جميع مصنفات ابن الحاجب عنى عن جمال الدين حسين بن إياز النحوى عن شيخه سعد الدين المغربى البيانى) اهـ .

ومن هنا يظهر لنا أن ابن الحاجب العالم النحوى المشهور كان تلميذاً لأحد تلامذة ابن إياز .

ثانياً — ابن القبيطى :

هو الشيخ نجم الدين أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن على القبيطى الحنبلى شيخ الحديث بالمستنصرية ، ولد ببغداد سنة ٥٥٤ هـ ، وسمع بها

---

(١) بغية الوعاة (٥٧٧/١) .
(٢) تاريخ علماء المستنصرية (١٧١٢) .

الحديث وكان حافظاً للقرآن متديناً ، وأحد كبار المحدثين المشهورين ، سمع علية جماعة من العلماء منهم ابن الزجاج ، وابن إياز ، وكثير غيرهما، قال السيوطى(١) فى ترجمة ابن إياز : (وسمع من ابن القبيطى جزءاً ولم يحدث به) اهـ ، وتوفى سنة ٦٤١ هـ .

ثالثاً — التاج الأرسوى :

هو صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر ، كان كثير الفضل ، يلم بكثير من علوم كالعربية ونظم الشعر ، وعلم الإنشاء ، والتاريخ ، وعلم الموسيقى ، ولم يكن فى زمانه من يكتب المنسوب مثله ، وبه تقدم عند الخليفة المستنصر ، وكان يجيد فن الخط ، فأسندت إلية مهمته فى مكتبة المستنصرية فى خلافة المستعصم ، وكان ملازماً له ومن ندمائه ، ومعلماً لأولاده ، ولما غزا هولاكوا بغداد ، قربه إليه ، وأضعف ماكان له فى أيام المستعصم ، قال السيوطى(٢) فى ترجمة ابن إياز : (قرأ على التاج الأرسوى) .

وقال ناجى(٣) معروف : (قرأ على التاج الأرموى مدرس الشرابية ببغداد) اهـ ولد سنة ٦١٣ هـ وكانت وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

رابعاً — ابن الصيقل الجزرى :

هو مسعد بن نصر الله بن رجب بن أبى الفتح الجزرى ، المشهور بابن الصيقل والملقب شمس الدين ، نحوى ، لغوى فقيه مفت ، صنف المقامات

---

(١) بغية الوعاة (٥٣٢/١) ، ويراجع تاريخ المستنصرية (٣٦٩/١) .
(٢) بقية الوعاة (٥٣٢/١) .
(٣) تاريخ المستنصرية (٢٠/٢ ، ٢٦٥/١ — ٢٧٤) .

الزينية الخمسين . والمعروفة بالحزرية ، تلا فيها تلو الحريرى ، ومن شعره فيـــه :

إنى أقابل بحراً فاض لؤلؤه بنبعة من غـــدير فياض
أم كيف أرفل فى ثوب به قصر
من الفصاحة رث غير فضفاض

قال ناجى(١) معروف : (وكان ابن إياز ممن سمع المقامات الزينية الخمسين وما فى أولها من المقدمة والخطبة والديباجة ، وما فى آخرها من الاعتذار ، على مصنفها الوزير شمس الدين بن الصيقل الحزرى سنة ٦٧٦هـ برواقه المستنصرية) اهـ ، ولم أعثر على تاريخ ولادته ، ولـكنه توفى سنة ٧٠١ هـ(٢) .

خامساً — ابن جعفر :

لم أعثر له على ترجمة ، ولـكن ابن إياز ذكره فى مؤلفاته على أنه شيخه ، فذكره فى كتابه القواعد فى النحو ص (٢٨١) ، وذكره فى كتابه المحصول شرح الفصول فى الصفحات (٢٦) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٩٥) ، باسم شيخنا رضى الدين ابراهيم بن جعفر ، فقال فى المحصول (٩٥) : فى أسماء الفاعلين والمفعولين : (قال شيخنا رضى الدين إبراهيم بن جعفر رحمه الله تعالى : لما كانت مشتقة من الأفعال ، والأفعال مشتقة من المصادر صارت كأنها مشتقة من المصادر) اهـ .

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٠) .

(٢) انظر بغية الوعاة (٢/٢٩٤) ، البلغة فى تاريخ أئمة اللغة (٢٦٠) تاريخ علماء المستنصرية (٢/١٥ — ١٨) .

تلاميذه:

كما أخذ ابن إياز عن علماء برزوا فى علوم كثيرة ، كان له أيضا تلاميذ قرءوا عليه النحو والأدب ، وكانوا أعلاما فى عصرهم ، وهم :

الأول : يعقوب الأنصارى الخزرجى :

وهو يعقوب بن يوسف الأنصارى ، الخزرجى أبو يوسف المالكى النحوى قرأ على البدر بن مالك كتاب التسهيل لأبيه، وعلى ابن إياز ، وكان أحد شيوخ العربية بالمستنصرية اولد ستة احدى وأربعين وستمائة ، ولم أعثر على تاريخ وفاته ، ومن شعره :

يامن يميزنى لا تزدرى خلـــق
بل اسأل الناس عن خلقى وعن خلقى
أما ترى الدر وسط البحر مسكنه
وقـد كساه جلابيبا من العلق(١)

الثانى : عز الدين الموصلى :

هو عبد العزيز بن جمعه الموصلى النحوى ، المشهور بابن القواس ،قرأ النحو على ابن إياز بالمستنصرية . ورتب معيدا لمدرسة المالكية ، ثم شيخا للعربية بالمستنصرية ، ومن مؤلفاته : شرح (الدرة الألفية) لابن معط ، وشرح (الأنموذج) فى النحو للزمخشرى ، وشرح كافية ابن الحاجب ولد بالموصل سنة ٦٢٨هـ ، وقدم بغداد، واستوطنها ، وتوفى سنة٦٢٦هـ(٢) .

---

(١) انظر بغية الوعاة (٢/٣٥١) ، وتاريخ علماء المستنصرية (٢/ ١٤)
(٢) انظر بغية الوعاة (٢ / ٩٩) ، تاريخ علماء المستنصرية (٢٥٥١ / ٢/ ١٤)

الثالث — تاج الدين ابن السباك :

هو على بن سنجر بن عبد الله البغدادى ، الملقب تاج الدين بن قطب الدين المعروف بابن السباك ، وكان عالما فاضلا أديبا شاعرا، برع فى الفقه والعربية ، وله من الفصاحة والبلاغة أوفر نصيب ، حفظ القرآن وأجاد القراءات السبع ، وتعلم الأدب على ابن إياز ، حفظ المفصل للزمخشرى ، واللمع لابن جنى ، وأصول ابن الحاجب .

قال السيوطى فى ترجمة ابن إياز : (وقرأ عليه التاج بن السباك) أه وكان مدرسا للفقه الحنفى بالمستنصرية ، ومن شعره :

الأمر أعظم مما يزعم البشر لا عقل يدركه كلا ولا بصر
فانظر بعينك أوفاغمض جفونك واحـ
ـذر أن تقول عسى أن ينفع الحذر

وهو القائل :

هـل أرى للفراق آخر عهـد إن عهـد الفراق عمر طويل
طال حتى كأننا ما اجتمعنا فـكأن التقاءنـا مستحيـل

ولد سنة ٦٦٠ هـ ، وقيل ٦٦١ هـ ، وتوفى سنة ٧٥٠ هـ وقيل ٧٥٥هـ (٢)

مؤلفاته

لقد خلف لنا ابن إياز مؤلفات حسانا تدل على فضله الجم وعلمه الغزير وهذه المؤلفات بعضها يذكر المسائل العلمية بما فيها من آراء مختلفة

---

(١) أنظر بقية الوعاة (٢/ ٣٥٠) وتاريخ علماء المستنصرية (٢/ ١٤).
(٢) تاريخ علماء المستنصرية (١/ ١٣٤—١٣٨)

يقوم بمناقشتها مرجحاً ومضعفاً مع إبداء رأيه فى كثير منها ، وذلك كما فى كتابة (القواعد فى النحو) وبعضها الآخر شروح وتعليقات على مؤلفاته غيره ، يناولها بالبحث والشرح والتحليل ، وذلك كما فى كتابه المحصول فى شرح الفصول .

وإليك كلمة موجزة عن بعض هذه المؤلفات .

أولا : المحصول فى شرح الفصول :

وهو كتاب شرح فيه الفصول الخمسين لابن معطى النحوى ، قال السيوطى[1] : (وله شرح فصول ابن معطط) ، وقال رضا كحالة[2] : (ومن آثاره المحصول فى شرح الفصول الخمسين) وقال الفيروزا بادى[3] : (له مصنفات منها شرح الفصول ، وقلما يوجد به نسخة صحيحة) . وقال حاجى خليفة[4] :(الفصول الخمسين فى النحو ليحي بن عبد المعطى النحوى، المتوفى سنة ٦٢٨ هـ وشرحها جمال الدين حسين بن بدر بن إياز بن عبد الله النحوى : المتوفى سنة ٦٨١ هـ وسماه المحصول) اهـ . وهو مخطوط بدار الكتب ، جزءان فى مجلد واحد ، بخط سريحاً بن عبد الله ، فرغ من كتابتهما يوم السبت الحادى والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٧٨ هـ كما جاء فى آخر ورقة .

---

(١) أنظر بقية الوعاة (١[٥٣٢) .

(٢) أنظر معجم المؤلفين (٣[٣١٦) .

(٣) أنظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .

(٤) أنظر كشف الظنون (١٩٥/٢) .

ثانياً : مشرح تصريف ابن مالك :

وهو كتاب شرح فيه كتاب التصريف لابن مالك: قال السيوطى(١) : (وله شرح الضرورى لابن مالك) . وقال بروكلمان(٢) :(وله شرح إيجاز التصريف لإبن مالك) . وقال الفيروز أبادى)(٣) : (وله سرح ضرورى التصريف لإبن مالك) ، وقال حاجى(٤) خليفة : (تصريف ابن مالك ، محمد بن عبد الله النحوى ، المتوفى سنه ٦٧٢ ﻫ ، أثنين وسبعين وستمائة ، وشرحة حسين ابن إياز النحوى المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ أحدى وثمانين وستمائة) اﻫ .

ألفه ابن إياز قبل المحصول ، حيث قال فى المحصول (١٩٧) : (وأما قوله عن كيف،وقد ذكرت أشكاله فى شرح تصريف ابن مالك)اﻫ ومنه نسخة واحدة مخطوطة بخط يونس بن عبد العزيز الماردانى ، فرغ من كتابتها يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة ، كما جاء فى آخر صفحة .

---

(١) أنظر بغية الوعاة (٥٣٢/١) .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربى (١٨٩/٥) .

(٣) أنظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .

(٤) كشف الظنون (٢٨٨/١) .

ثالثاً : التعليق على المتبع :

لم أعثر على هذا الكتاب ، ولكنه يبدو من عنوانه أن كتاب المتبع لغيره ، وله شروح وتعليق عليه ، وقد ذكره المؤلف فى المحصول شرح الفصول ورقة (٥٦) فى العلل الموجة بناء الإسم قال : (وقد بينت هذا فى مآخذ المتبع) اﻫ .

وقال حاجى خليفة(١) : (المآخذ المتبع لجلال الدين حسين بن إياز النحوى) اﻫ ، ولكن ابن إياز ذكره عدة مرات فى بعض كتبه باسم التعليق على المتبع .

رابعاً: الإسعاف فى تتمة الإنصاف :

ذكر بعض المؤرخين هذا الكتاب لابن إياز بعنوان (الإسعاف فى الخلاف) كما فى معجم المؤلفين (٣/٣١٦) وبغية الوعاة (١/٥٣٢) وكشف الظنون (١/٩٦) ، ولكن ابن إياز ذكره فى كتابه شرح تصريف ابن مالك (٦٢) باسم كتاب الأسعاف فى تتمة الإنصاف ، قال : (فصل ، تبدل الألف بعد فتحة متصلة من الواو والياء المتحركة فى الأصل ، وإن لم يسكن ما بعدها أو يعل ، وقد استقصيت الكلام على هذا فى كتاب الإسعاف فى تتمة الإنصاف) اﻫ ، لم أعثر على هذا الكتاب .

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٦٨) .

خامساً : المسائل الخلافية :

ذكره الفيروزا[1] بارى ضمن مؤلفاته، قال : (وله كتاب فى المسائل الخلافية) اه .

وقال حاجى خليفة[2] : (مسائل الخلاف لجمال الدين حسين بن إياز النحو المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ) اه .

ألفه ابن إياز قبل شرح التصريف ، حيث قال فى شرح التصريف (٢٤) : (ويزاد علامة للتأنيث فى نحو قائمة وقاعدة ، فهذه التاء هى علم التأنيث والهاء بدل منها فى الوقف ، وذلك أن التاء هى الثابتة فى الوصل التى تجرى فيه الأشياء على أصولها ، والهاء هى الثابتة فى الوقف الذى تخرج فيه الأشياء عن أصولها . . . . . والكوفى يذهب إلى أن الهاء الأصل ، والتاء بدل منها ، وقد ذكرته فى المسائل الخلافية) ولم أعثر على هذا الكتاب .

سادساً : آداب الملوك :

لم أقف على شىء يتعلق بهذا الكتاب ، غير أن ناجى[3] معروف قد ذكره له .

---

(١) أنظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .
(٢) أنظر كشف الظنون (٢/٤٢٥) .
(٣) أنظر تاريخ علماء المستنصرية (٢/٢٠)

منهج ابن إياز

لكى نحدد منهج ابن إياز ، وانتماءه إلى إحدى المدرستين ، لابد لنا أن نعطى صورة عن منهج وطابع كل مدرسة فى تناولها للدراسات النحوية .

فالمنهج البصرى يقوم على الإستقراء العام لنصوص اللغة الفصيحة من بيئتها الخاصة بعد التأكد من سلامتها من شوائب العجمة والإختلاط ، واشترطوا فى الشواهد المستمد منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء ،وأن تكون كثيرة ، بحيث تمثل اللهجة الفصحى،وبحيث يمكن أن يستنتج منها القاعدة المطردة ، وماعدا ذلك من المسائل إما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم ، وإما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه،بل يحكموا عليه بالشذوذ(١) .

لذلك نجدهم اشترطوا فى السماع لكى يكون محلا للقياس وإخراج القاعدة الإعتماد على :الكثير الشائع ، وأن يخرج من حد القلة إلى الكثرة، قال السيوطى(٢) فى تعريف السماع : (هو الكلام العربى الفصيح،المنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ، وعلى هذا يخرج ما جاء من كلام العرب المولدين وغيرهم ، وجاء شاذا فى كلامهم) اهـ

ويقول ابن الأنبارى(٣) ، وهو بصرى المنهج : (النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب،فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو) اهـ .

---

(١) أنظر المدارس النحوية (١٥٩ ، ١٦٠) .
(٢) أنظر الإقتراح (٨٤) .
(٣) أنظر المرجع السابق (٩٥)

أما الكوفيون(١) فقد بنوا منهجهم على الاعتداد بالشواهد الفردية، وإن لم يرد غيرها فى كلام العرب، ويقيسون عليها، فلو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف الأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه، فطابع مدرستهم هو طابع الاتساع فى رواية الشعر، وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم وحضريهم، وأيضاً الاتساع فى القياس وضبط القواعد النحوية، فاعتدوا بالأشعار والأقوال الشاذة مما خرج على قواعـــد البصريين، وقاسوا عليها، وهـذا مما جعل بعض البصريين، يفخر على الكوفيين بقوله : (نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز، وباعة الكواميخ(٢)) ا . هـ

وهـذا هو السبب فى أن نحو المدرسة البصرية ظل مسيطرا على المدارس النحوية التالية، وعلى جميع الأجيال العربية التى جاءت من بعدهم لأن قواعدهم هى القواعد المطردة مع الفصحى، ولذلك يقول(٣) السيوطى : (اتفقنا على أن البصريين أصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية، قال ابن جنى : الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلعون عليها، وقال

---

(١) انظر المدارس النحوية (١٥٩، ١٦٠)، وأبو على الفارس (١٤٤٠).

(٢) انظر الاقتراح (٢٠٢).

المعنى — حرشة الضباب : صائد والضباب، أكلة اليرابيع : اليدو الخلص، والشواريز : جمع سيراز وهو اللبن المصفى، والكواميخ : جمع كامخ، وهو نوع من الإدام، والمقصود عرب المدن.

(٣) المراجع السابق (٢٠١، ٢٠٢)

الأندلسى فى شرح المفصل : الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول ، جعلوه أصلا ، وبوبوا عليه ، بخلاف البصريين) اهـ .

ومن يقرأ كتب ابن إياز ، أو بعضها ، يتبين أن منهجه صورة لمنهج البصريين قياسه وسماعه ، بل التزم به حيث نفذ كل ما ألزم البصريون أنفسهم به ، ولا يقيس على الشاذ والنادر ، ويستعمل التأويل والتخريج ، بغية إخضاع القاعدة لمنهجه الذى التزمه .

وهذه بعض الأمثلة من خلال كتابه (القواعد فى النحو ، ليظهر لنا بوضوح منهجه ، والذى قلنا : إنه صورة لمنهج البصريين فى قياسه وسماعه وتأويلاته .

فى مسألة بناء الفعل الماضى على الفتح قال : (وفتح لقصد أن تكون حركته أقرب الحركات إلى السكون ، وذلك الفتح ؛ ألا تراهم قلبوا الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها واوا نحو جونى ، لقلب الساكنة فى نحو جونه ، وكذلك إذا انكسر ما قبلها نحو بئر ، لقلبها فى بير ، وقال بعضهم : تحذف واو الضمير وتبقى الضمة دلالة عليها ، قال الشاعر :

ولو أن الأطبا كان حولى وكان مع الأطباء الأساة

وتحذف الضمة للوقف كقوله :

لو أن قومى حين أدعوهم حمل(١)
على الجبال الصم لا رفض الجبل

---

(١) الأصل : حملوا ، ثم حذفت الواو ، وبقيت الضمة ، فصار حمل ، ثم حذفت الضمة فى ايرتف وسكن .

فلو بنى على الضم لا لتبس بهذه اللغه ، والكسرة أختها ، فمنعت كمنعها ، فتعينت الفتحة) .

ثم قال ابن إياز ردا على هذا الرأى : (وهو مزيف عندى لوجهين :

أحدهما أن القرائن المذكورة معه تدل على ذلك ،

والثانى أن هـذه لغة نادرة جدا ، فلا يتفق الكل على خـــوف الالتباس بها) .

نرى ابن إياز أبطل هذا الرأى لاعتمادة على لغة نادرة وقليلة .

وفى مسألة إبطال عمل (ما) الحجازية :

قال ابن إياز : (ويبطل عملها بأربعة أشياء : الأول انتقاض النفى بالا ، كقولك : مازيد إلا قائم ، ولا يجوز قائما ، وحكى ابن خروف أن الإعمال لغة قليلة) .

فقد رفض ابن إياز إعمالها بحكاية ابن خروف ، وذلك لأنها قليلة ولم تعتمد على الكثرة التى هى أساس المنهج البصرى .

وفى مسألة منع الاسم من الصرف للعلمية والوزن :

قال ابن إياز : (والآخر الغالب ، وهو أن يكون الاسم على وزن يغلب وجوده فى الأفعال ، وتشركه فيـه الاسماء ، وذلك نحو يدمع ، ومثال يفعل ، وهذا فى الأفعال أكثر منه فى الاسماء) .

ثم يرد على ابن الحاجب بقوله : (وقول ابن الحاجب : إنه يؤدى إلى جهلة ضعيف ، لأن نقل أئمة اللغة يقبل ولا يرد ، وإذا نقلوا عدم البناء كما قالوا : ليس فى الكلام فعلل ، ولا فى الصحيح فيعل ، بكسر العين ، وقبل ذلك ، فكذلك يقبل فى ادعاء الكثرة) .

فى هذه المسألة نجد ابن إياز يقصد من قوله : نقل أئمة اللغة ، القياس المتعمد على النقل الكثير ، وهو ما يتمشى مع المذهب البصرى .

ومن أمثلة استبعاده الشاذ من القياس ، قوله فى تعدد الفرق بين لم ولما : (وثالثها جواز الوقف على لما دون لم ، كقولك . جئتك ولما ، تريد ولما أكرمك ، ولا يجوز مثل ذلك فى لم إلا شاذا ، كقول الشاعر :

يارب شيخ من لكيز ذى غنم
إجلح لم يشمط وقد كاد ولم (١)

ومثله قوله فى الاستثناء المفرغ : (ولا يجوز ما قام إلا زيدا ، بالنصب لأن الفعل لم يأخذ فاعله ، وقد شذ مجيئه كقول الشاعر :

يطالبنى عمى ثمانين ناقة   ومالى ياعفراء إلا ثمانيا

ومن أمثلة استعماله التأويل فى الشواهد التى لا تنطبق عليها القواعد البصرية بغيه إخضاعها لتلك القواعد .

فى مسألة دخول حرف الجر على الاسم بعد الفعل المتعدى ، وقبل استيفائه المفعول ، قال ابن إياذ : (ولا يجوز ضربت لزيد ، إلا على تقدير زيادته ، كقوله :

وملكت ما بين العراق ويثرب   ملكا أجار لمسلم ومعاهد

---

(١) البيت من الرجز لم أعثر على قائله ، موجود فى الخزانة (٥٢٨/٣) الضرائر (١٠٢) ، اللسان (شمط) .

اللغة : (يشمط) الشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده ، (لكيز) قبيلة من ربيعة ، (أجلح) فى تهذيب اللغة (اجلخ الشيخ أى ضعف وفترت عظامه وأعضاؤه) .

أى أجار مسلماً ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أى أيديكم) .

وفى البيت :

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح الطوائح

قال : (وضارع وهو الذليل الخاشع مرتفع بفعل محذوف ، فسره الفعل الماضى والمعنى يبكيه ضارع ، ونقل أن الناشىء رد هذه الرواية تحاملا على الأشياخ الثقات ، وجهلا إما فى هذه اللغة من الاتساع الذى يعرفه ذو الباع الوساع ، أما علم سامحه الله تعالى أنه قد جاء مثل ذلك فى كتاب الله عز اسمه ، وهو قراءة من قرأ (ويسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) أى (يسبحه رجال صفتهم ما ذكر) نرى بوضوح أن التأويل شمل الشعر والنثر ، وتخطاهما إلى آيات القرآن الكريم بغية إخضاع الكلام العربى كله إلى قواعده ، ومن تحامله على منكرى التأويل يتبين لنا مدى تمسكه به .

ولابد لى وأنا أقرر منهج ابن إياز من أن أعترف بأن كثيراً من تأويلاته وتخريجاته لم تكن من مبتكرات آرائه ، وإنما تبناها لرجحانها ، أو متأثراً بأصحابها .

ومن شدة تمسكه بالكثرة فى القياس جعلها مرجحاً له فى دوران الأمر بين أمرين ، كما فى مسألة : قام القوم لاسيما زيد ، يدور الأمر بين كون ما زائدة ، والاسم بعدها يكون مجروراً ، وبين كونها موصولة بمعنى الذى ، والاسم بعدها يكون مرفوعاً على أنه خبر لمبتدإ محذوف ، قال ابن إياز : (فإن قيل : كلا الوجهين لا يعرى من تجوز إما بزيادة ما ،

وإما بحذف المبتدإ ، فما المرجح؟ أجبت زيادة ما كثيرة ، ويطرد زيادتها في مواضع كوقوعها بعد إذا وأين ومتى وبعد حرف الشرط إذا كان فعله مؤكداً ، وليس حذف المبتدإ من الصلة كذلك . وقد صرح أبو الفتح بأن الزيادة في كلامهم أكثر من الحذف ، ولذلك كان القول بزيادة الهاء في أمهة أولى من القول بأصالتها) .

ومن خلال ماذكرت من أمثلة يتجلى لنا بوضوح استعماله للقياس المعتمد على الكثرة الموثقة من السماع ، وطرحه للشاذ والنادر بعد أن يستعصى عليه التأويل ، وكل ذلك مقومات المنهج البصرى .

مصادر الاستشهاد عند ابن إياز

تنحصر مصادر الاستشهاد فى الآتى :

١ — القرآن الكريم وقراءاته .

٢ — الحديث النبوى .

٣ — فصيح كلام العرب من شعر ونثر .

أولا — القرآن الكريم :

كل ماورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به سواء أكان متواتراً ، أم آحاداً ، أم شاذاً ، قال السيوطى[١]: (وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك الوارد بعينه ، ولا يقاس عليه نحو استحوذ ويأبى ، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة) اهـ .

وابن إياز فى كتاباته اهتم اهتماماً بالغاً بالاستشهاد بالقرآن ، وكان حريصاً على تطبيق القاعدة على القرآن ، وبيان مايستطيعه من وجه العظمة فى الآية ، فإن عظمة كلام العرب وأسرار خلوده لم يكن له أصل إلا القرآن ، ففى كتابه (القواعد فى النحو) نرى الاستشهاد بالنص القرآنى فى كل فصل من فصول الكتاب يكاد يكون فى كل مسألة منه . وبلغ من اهتمامه به أنه كان يتخذ القرآن مقياساً للكثرة ، فما ورد به فهو الكثير

---

(١) انظر الاقتراح (٤٨) .

الذى يقاس عليه ، وما لم يرد فهو الشاذ أو الردىء الذى يجب طرحه ، قال فى مسألة كون فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً : (وهى رديئة لم تأت فى الكتاب العزيز ، بل فى الشعر كقوله :

فإن تقطعوا منا مناط قلادة قطعنا به منكم مناط قلائد(١)

وقال آخر :

من يكدنى بسىء كنت منه كالشجا بين حلقه والوريد)(٢)

ثانياً — كلام الرسول ﷺ :

اختلف العلماء فى الاستدلال بحديث النبى ﷺ إلى ما يأتى :

١ — مذهب الجمهور من البصريين والكوفيين منع من الاحتجاج بالحديث ، قال السيوطى(٣) (قال أبو حيان : إن الواصفين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى

---

(١) البيت فى المحصول شرح الفصول للمؤلف (١٤٠) ، وتوجيه اللمع (١٢١) .

اللغة : (مناط قلادة) خيطها ، والشاعر يفتخر بقبيلته ، ويقول : نقابل الإساءة بالضعف .

(٢) البيت فى حاشية الصبان (٤/١٧) ، حاشية الخضرى (٢/١٢٤) ، والمحصول للمؤلف (١٤٠) ، جمهرة القرشى (٢٦٣) .

اللغة : (يكدنى) من الكيد يخدعنى ويمكر بى ، (الشجا) ما يعترض فى الحلق ، والشاعر يعدد محاسن ابن أخته ، فيقول : كنت لى بحيث إن من أراد أن يخدعنى ويمكر بى ، فإنك تقف فى طريقه .

(٣) انظر الاقتراح (٥٢) .

ابن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى ابن مبارك وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يحتجوا بالحديث ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين) اهـ .

وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى .

وثانيهما : أنه قد وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع[1] .

٢ — ذهب بعض المتأخرين كابن مالك ، والرضى إلى جواز الاحتجاج بالحديث واحتجوا بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق[2] .

٣ — ذهب بعض المتأخرين أيضاً إلى الاحتجاج بالأحاديث التى اعتنى بنقل ألفاظها . ومن أصحاب هذا الرأى الشاطبى ، وتبعه السيوطى[3] حيث قال : (وأما كلامه ﷺ ، فيستدل منه بما ثبت أنه تكلم على اللفظ المروى ، وذلك نادر جداً ، وإنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضاً .

وكان ابن إياز من أصحاب المذهب الأول ، ولم يستشهد فى كتبه وبخاصة كتاب القواعد إلا بأحاديث قليلة بغرض الاستئناس والتبرك ، أو لتدعيم قاعدة .

---

(١) انظر الخزانة (١/٩) تحقيق هارون ، والاقتراح (٥٢) ، والمدارس النحوية (١٩) .

(٢) انظر الخزانة (١/٩) .

(٣) انظر الاقتراح (٥٢) ، الخزانة (١/١٢) .

ومما يدل على أنه من أصحاب المذهب الأول قوله فى مسألة اقتران خبر كاد بأن : (والثانى كاد ولها اسم وخبر غير أن خبرها فعل غير مقترن بأن وذلك لأن معناها الاشراف على الفعل ، وأن تفيد بعدة ، ولذلك شذت معها كقوله :

قد كاد من طول البلى أن يمحصا(١)

وفى الحديث (كاد الفقر أن يكون كفرا) .

يلاحظ أن ابن إياذ وصف الحديث بالشذوذ . وماذلك إلا دليل واضح على أنه من أصحاب الخط الأول ، القائل بمنع الاحتجاج بالحديث ، وإلا فإن النبى ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، فكيف يوصف حديث صدر عنه بالشذوذ ولذلك قال الأنبارى(٢) :(فأما الحديث (كادالفقر أن يكون كفرا) فإن صح ، فزيادة أن من كلام الراوى ، لا من كلامه عليه السلام لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد) اه

ثالثاً — فصيح كلام العرب (الشعر والنثر)

أولا :ـ الشعر : اهتم ابن إياز اهتماماً متزايدا بالشعر ، فنراه فى كتاب (القواعد) استعمل نوعين من الشواهد :

---

(١) البيت من الرجز المشطور لرؤبة بن العجاج ، وانظر : شرح المفصل (٧ / ١٢١) ، ؛ الانصاف (٢ / ٥٦٦) ، الجمل للزجاج (٢١٠) ، الهمع (١ / ٣٥) .

اللغة : (البلى) القدم ، (يمصح) يذهب ، وصف الشاعر منزلا بالقدم وعفو الأثر .

(٢) انظر الإنصاف (٢ ، ٥٦٧)

١ — شواهد احتجاج: وهى الشواهد التى ساقها يستهدف منها احتجاجا على تطبيق قاعدة عليها، أو على تطبيقها على قاعدة، وهذه الشواهد قد تقيد فيها بألا تتعدى عصور الاحتجاج، وهى الواردة عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم.

٢ — شواهد استئناس، وهذه شواهد ساقها لغرض الاستئناس بها فى إخضاعها لتجربة انطباقها على القاعدة أو عدم انطباقها كشعر المتنبى وأبى فراس، وقد بين ذلك فى مسألة: إذا تعلق الظرف أو الجار والمجرور بمحذوف عمل فى المفعول له، قال: (والمفعول له، كقول أبى الطيب:

فى الخد أن عزم الخليط رحيلا
مطر يزيد به الخدود محولا(١)

فطر مبتدأ، وفى الخد خبره، وأن ومعمولها مصدر هو مفعول له، والمعنى: فى الخد مطر لعزم الخليط على الرحيل، وهذا تمثيل لا شاهد)

والعلماء قسموا الشعراء إلى طبقات أربع:

الأولى: الشعراء الجاهليون، كامرىء القيس والأعشى:

الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان:

---

(١) البيت من الكامل للمتنبى وانظر ديوانه (٣، ٣٤٩).
اللغة: الخليط) هو الذى يخالطك، وأراد به هنا الحبيب، وهو واحد وجمع، ويجمع أيضا على خلطاء وخلط. يقول الشاعر: فى الخد لأجل رحيل الحبيب مطر يزيد الدموع، إلا أنه لا ينبت بل يمحل، ومحول الخدود شحوبها وذهاب نضرتها.

الثالثة : المتقدمون ، ويقال لهم : الإسلاميون ، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق .

الرابعة : المولدون ، ويقال لهم : المحدثون ، وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد ، وأبى نواس والمتنبى .

فالطبقات الثلاث الأولى يستشهد بشعرهم إجماعا ، وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ، وقيل : يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزمخشرى والرضى الاستراباذى(١)

قال السيوطى(٢) : (أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين، والمحدثين فى اللغة العربية ، وفى الكشاف مايقتضى ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس .

ثم قال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغه ، فهو من علماء العربية ، فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لتوثقهم بروايته واتقانه) اهـ

ولا يؤخذ على ابن إياز بأنه استشهد بشعر المولدين كالمتنبى وأبى نواس فقد أوضح لنا بأنه تمثل لا شاهد .

---

(١) انظر الخزانة (١ ، ٥ ، ٦)

(٢) انظر الاقتراح (٧٠)

ثانيا — النثر :

لم يعتمد ابن إياز على النثر كثيرا ، فقد استشهد بقليل من الأمثال المأثورة عن فصحاء العرب ، ولا تتعدى فى كتابه القواعد أكثر من سبعة أمثال : ومنها :

- فى مسألة الأفعال الملحقة بصار فى العمل ومنها قعد : قال : (وقالوا: شحذ مشفرته حتى قعدت كأنها حربة) .

- فى مسألة خبر كاد وأخواتها لا يأتى اسما إلا نادرا ، قال : (وفى مثل عسى أبؤسا) .

وللحديث بقية مع هذا العالم الجليل لبعض مؤلفاته دراسة وتحليلا فى العدد القادم من المجلة إن شاء الله .

والله ولى التوفيق ؟

مصادر البحث

١ — أبو على الفارسي من أعيان الشيعة - تأليف عبد الفتاح شلبي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة .

٢ — الاقتراح فى علم أصول النحو - للسيوطى - تحقيق أحمد محمد قاسم مطبعة السعادة ١٣٩٦ ﻫ - ١٩٧٦ م - الطبعة الأولى .

٣ — الإنصاف فى مسائل الخـــلاف - لكمال الدين أبى البركات الأنبارى - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية بالقاهرة

٤ — بغية الوعاة - للسيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبى ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ ﻫ ١٩٦٤ م

٥ — البلغة فى تاريخ أئمة اللغة للفيروزاباذى ، تحقبق محمد المصرى ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢ ﻫ ، ١٩٧٢ م .

٦ — تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياه ببيروت ، الطبعة الثانية - ١٩٧٨ م

٧ — تاريخ الأدب العربى - لبروكلمان - نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ، ورمضان عبد التواب أ دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ، الجزء الرابع والخامس .

٨ — تاريخ علماء المستنصرية لناجى معروف : مطبعة العانى ببغداد الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ ﻫ ١٩٦٥ م

٩ — توجيه اللمع ، لابن الخباز ، مخطوطة مكتبة الأزهر

١٠ — الجمل للزجاجى ، تحقيق ابن أبى شنب (أستاذ بكلية الآداب

بالجزائر الطبعة الثانية ، ١٣٧٦ ؛ ١٩٥٧ م مطبعة كلنيك ـ باويس .

١١ — جمهرة أشعار العرب للقرشي ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣م

١٢ — حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ، المكتبة التجارية بمصر

١٣ — حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

١٤ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، لابن الفوطى البغدادى ، طبع المكتبة العربية ببغداد ١٣٥١ هـ .

١٥ — خزانة الأدب، لعبد القاهر البغدادى، تحقيق عبد السلام هارون دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م

١٦ — خلاصة الذهب المسبوك، لعبد الرحمن الإربلى، مكتبة المثنى بغداد

١٧ — ديوان المتنبى ، شرح عبد الرحمن البرقونى ، الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان ـ أربعة اجزاء .

١٨ — شرح تصريف ابن مالك ، لابن إياز ـ مخطوطة

١٩ — شرح المفصل ، لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبى القاهرة

٢٠ — الضرائر للآلوسى ، مكتبة دار البيان ، بغداد .

٢١ — القاموس المحيط ، للفيروزابادى ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى الحلبى ، ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢ م

٢٢ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة، الطبعة الأولى ـ مطبعة العالم ـ ١٣١٠ هـ :

٢٣ لسان العرب لابن منظور .

٢٤ـ المحصول فى شرح الفصول لابن معطى تأليف ابن إياز، مخطوطة دار الكتب .

٢٥ ـ المدارس النحوية ـ لشوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة . .

٢٦ معجم المؤلفين ـ لعمر رضا كحالة ، المكتبة العربية بدمشق ـ مكتبة الترقى بدمشق ـ ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م

٢٧ ـ جمع الهوامع ، للسيوطى ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان :

د . محمد السيد متولى البغدادى
مدرس اللغويات بالكلية

الشاعر: أحمد محمد درويش

حياته وصور من إبداعه الفني

بقلم الدكتور: محمد على سيد أحمد داور

بادىء ذى بدء أحمد ربى سبحانه وتعالى صاحب المنة والإحسان ، فقد من علينا بنعم كثيرة أولها نعمة الإيجاد وأردفها بتوالى الإمداد ، ومن أسمى النعم التى أمد بها المرء بعد خلقه نعمة العقل التى بها هدى الإنسان إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأصلى وأسلم على خير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وبعـــد .

فقد خلق الله الإنسان فى هذه الحياة لعبادته ، وهذه العبادة تكمن فى أداء رسالات متعددة بمجموعها تتحقق له الاستقامة فى الحياة فتؤتى أكلها وتكثر ثمارها ، ومن أجل هذه الرسالات الدعوة إلى الله رب العالمين بعد السير على منهجه ، وبذل المرء ما يستطيع من الجهد فى البحث عما يفيد الإنسانية فى كل مجال من مجالات العلوم المختلفة ، والأدب أحد هذه العلوم ، وهذا الفن الإنسانى الجميل يستوجب ممن يبحثون فيه أن يفتشوا عن خفيه ويبحثوا عن مكنونه الجيد الذى حالت الظروف دون ظهوره أو نشره أو عملت على قتله حينا ، هذه المعوقات التى كثيراً ما قتلت صفحات ربما حققت لقارئها إفادة وإمتاعاً ، بل ربما كشفت عن مشكله خطيرة أو رأى مستنير ، أو ساعدت فى القضاء على بعض ما يقف فى طريق فئة معينة من معوقات ، وهذا ما يدخل فى الواجب الذى يقع على كواهل من يبحثون فى هذا الفن ، وفى تصورى إن كشف الفكر والفن والأدب أفضل بكثير من كشف الذهب والتنقيب عنه .

وينقسم الكشف عن خفى هذا الفن إلى أقسام ويتفرع إلى فروع : فمنه البحث عن الأدب فى عصوره السابقة أو فى عصوره الحاضرة ، وقد يتفرغ ذلك إلى البحث فى الشعر أو النثر بألوانه المتعددة .

والموضوع الذى آثرت أن أقف معه فى هذا البحث : هو شاعر ذو موهبة شعرية فذة مكنته من الوقوف على تجاربه بمهارة عالية ورؤية نافذة وبصر بجوانب الأمور ، وقدرة على النفاذ فيها ، كما يملك زمام

الأداة الموحية ، ومع كل هذا فهو ذو قدرة على التعبير عن تجربته فى سهولة تمتنع على كثير من شعراء الجيل . وشاعر يطل على القارىء بهدوئه الظليل ويفرض علينا أحـــلام اليقظة التى تجيش فى أذهان الكثرة من ذوى الإحساس الرفيع والحس المرهف ، يعبر عن ذلك وغيره فى صوو معبرة وفكر مستنير يشيعان فى القارىء عددا لايحص مما يعيش فى ذاته من فكر واحساس ، ولقد عالج الشاعر فى تجاربه الفنية مرضوعات شتى معالجة بديعة لم تر بهذا الأسلوب والشكل من قبل ، وهو بذلك شاعر له فكره ورأيه فى مجال الشعر وهى آراء ـ فى تصورى ـ يعتز بها مجال الدراسات الأدبية ومع هذه السمات الإبداعية للشاعر فلم يتوفر له من الأسباب مايحقق لشعره الذيوع والانتشار ، بل ظل شعره حبيس صدره وقرطاسه ، اللهم إلا بعض القصائد التى قيلت فى المهرجانات الشعرية أو فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية أو فى مبنى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، ولقد كان فى مقدوره أن يرى النور ويسابق الكثرة مما نقرأه الآن ، ومن قبل من الشعر المعاصر لو أن الشاعر سلك مسلكاً آخر كهؤلاء الذين يتخذون من شعر المناسبات مطيعة للظهور ،!! فكم من فرصة واتته ولكنه رفض كل هذه السبل ، وكأن مثله فى ذلك مثل العربى الأدبى الذى يفد قدوة فى العزة والإباء والشمم ، يعيش وقوته الحياء والكبرياء ، وإننى إذ أقدم هذا الشاعر إلى أعزائى القراء والأدباء إنما أقدم صفحة مشرقة من تجاربة الشعرية التى تكشف عن مقدرته الفكرية والشعورية عل ذلك يساعد على نشر بعض أدبه حتى تنضم اللؤلؤه الكبيرة إلى مثيلاتها فى عقد الزمان الخالد ظل إشعاعه وسيظل إلى ماشاء الله ، وبذلك ومثله تظهر الصورة كاملة متكاملة معطاء ، وشاعر البحيرة لم تنشر له سوى قصيدة واحده فى كتاب مهرجان الشعر الخامس عام ١٩٦٣ م بالاسكندرية ، وهى من الشعر الوطنى أنشأها الشاعر عام ١٩٥٩م وعنوانها « من أجل

شعب »(١) يقول فيها :

من أجل شعب مرهق بالذل والعسف الشديد

من أجل شعب عاش دهراً مستذلا كالعبيد

من أجل شعب دامى الاقدام من ثقل القيود

من أجل شعب هده الاقطاع فى أرض الجدود

... ...

من أجل هذا كله من أجل تحرير العبيد

دوّى بأرجاء الزمان فهز أعماق الوجود

صوت من الشرق الفتى يزفه فجر جديد

أنا قد صحوت ولن ترانى للكرى أبداً أعود

لا . لن أسلم مطلقا جفنى لأحضان الخمود

* * *

وقد آثرت أن أقدم للقارىء هـذا البحث فى جزئين — وآمل أن أوفق بعد فى عمل يكشف الشاعر ونتاجه ويقدمه لقرأء الأدب وعشاقه ونقاده — أما الجزء الأول فهو حوار مع الشاعر يغطى كثيرا من جوانب حياته — بما يناسب المقام — تعريفا ورأيا ، بمعنى أنه حوار يكشف عن كثير من جوانبة الأدبيه وآرائه الفنيـــة ونظرته إلى الشعر كفن له دوره فى الحياة .

ويقدم الجزء الثانى عرضا مناسبا لبعض التجارب البديعة من شعر

---

(١) القصيدة من مجزوءة الكامل وعدد أبياتها ٥٥ بيتا وهى مخطوطه بخط الشاعر ومصوره لدى

الشاعر والكشف عما فيها من جوانب فنيه تنبىء عن قدرة إبداعية فى هذا المجال .

— ١ —

الأخ الأستاذ الشاعر أحمد محمد درويش . . . السلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

وبعـــد :

أشرف بهذا اللقاء ، وأملى كبير فى أن يكون محققا لما آمله منه ، وإنه إذا كان من واجب الباحثين فى الأدب إظهـــار كنوزه ليطلع عليها القراء ، ويدرسها الباحثون ، ويتمع بها الذواقة ، من أجل ذلك يجدر بى أن ألتقى بك فى أكثر من لقاء ، فعهـــدى بك أنك تمتلك الفكر الفنى والشعور المرهف والرؤيا النافذه والأداة الطيعة ، ولا أطيل عليك فالكلام كثير لو تركنا لا نفسنا العنان ، واسمح لى أن نبدأ الحوار .

— ما هويتك الكامله ؟

الاسم : أحمد محمد درويش

المولد زمانا ومكانا : ولدت فى أواخر الثلاثينات فى لقانه إحدى قرى محافظة البحيره .

أما عن نشأتى : فقد تفتحت عيناى على هدوء الريف وصفائه وسحره وبهائه ، وعلى الخضره الممتدة عبر الأفق والطبيعة الساحرة مما أثر فى منهجى الشعرى منذ النشأة فأجدنى أقول :

لله درك منبع الخيرات   ياريف يامهدى ولحن حياتى
آى من الاشراق فيك وكيف لى   تصـــوير آى الله بالكلمات

ولقد تناولت الريف كثيرا فى شعرى .

أما عن الكلية : فقد تخرجت فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٦١ م .

بعض الاعلام الذين تلقيت العلم على أيديهم ولهم عندك نصتب من الذكر حتى الآن .

من الأعلام الذين أعتز بهم والذين تلقيت العلم على أيديهم : الدكتور عبد الرحمن عثمان، وكنت أحب فيه إنصافه لذوى المواهب الشابة المغمورين أمثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب .

الأعمال التى قمت بها داخل الوطن وخارجه :

من الأعمال التى قمت بها داخل الوطن : القيام بأداء رسالة مقدسة ، رسالة التعليم ، واشتراكى فى مهرجانات شعرية كثيرة بين الاسكندرية والقاهرة، ومنها مهرجان الشعر الخامس عام ١٩٦٣ بالاسكندرية .

أما خارج الوطن : فقد أعرت للتدريس بعدن . وهناك شاركت زملائى فى مقاومة التيارات غير الإسلامية التى كانت تهدد البلاد فى ذلك الحين .

الشعر فى رأيك :—

هو أرقى لغة وأسماها فى عالم التخاطب، وهو المعراج الذى يسمو بالإنسان إلى العالم الجميل العامر بالإحساس والشعور والوجدان والحب والجمال .

الشاعر فى مفهومك ؟

الشاعر إنسان يعذب بإحساسه ، ويؤرق بخواطره وأفكاره ، المشارك فى آلام الانسان وآماله المترجم عن آمال أمته وأمانيها .

يقول بعض النقاد : إن الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس جوانب النفس الانسانية ... أللشاعر أحمد درويش إضافة على هذا المفهوم أوله رأى آخر من خلال تجربته الشعرية ؟ .

الشعر الصادق ما كان ترجمة لانفعالى صادق واحساس مرهف وعواطف نبيلة مما يجعل الشاعر يحيط بكل جوانب النفس الانسانية ويحس جميع ما يعتريها فى حالتى سعادتها وشقائها مشاركا لها ومخففا عنها .

والشاعر يؤكد بذلك دور الشعر الاجتماعى فى معترك الحياة الأليم .

ما الدوافع الحقيقية لقول الشعر؟ وما مدى انطباق ذلك عليك فى قولك للشعر ؟ .

أرى الموهبة مضافا إليها توفر التجوبة الشعرية بما فيها من فكر ووجدان وصور تعبيرية مضافا إلى ما تقدم — أيضا — رهافة الحس، وهذه دوافع حقيقية لقول الشعر وذلك من خلال تجربتى معه ، ولقد كان يحلو لى ترديد هذه الأبيات :

وفى بحر دمعى سرى زورق ... يجدف فى ظلمات الكدر

تهب عليه رياح الهموم ... وموج الردى صاخب مستعر

وضل فلم يدر أين يسير ... ولم يدر أين سينهى السفر

وملاحه عبقرى الشقاء ... نديم الأسى نابغى السهر

هل يتذكر الشاعر : أحمد درويش أول قصيدة قالها ليحدثنا حول العوامل التى فجرتها ؟ .

أذكر أن أول قصيدة قلتها هى « دموع شاعر وكانت نتاج ظروف قاسية ملحة المت بى عام ١٩٥٤ م ، كما أذكر أننى ألقيت هذه القصيدة بكلية

الآداب جامعة الاسكندرية فى نفس العام ... وكثيرا ما كنت أردد أبياتها بينى وبين نفسى حيث وجدت بها سلواى .

يقولون إن لكل عاطفة وزن معين يؤديها ويتناسب معها(١) .

ولهذا يحسن الوزن فى غرض دون آخر كالوافر الذى يحسن فى الحماسة والفخر (٢) .

والخبب الذى يصلح للشعر فى حالات الانفعالات النفسية المصحوبة باضطراب من شأنه أن يكون وقت وقوع حادث أو ما شابه ذلك .... فما رأيك فى ذلك ؟ .

أؤيد هذا الرأى . . وأميل إليه .. فكلا الوزنين ملائم لموضوعه وألمح ذلك واضحا فى شعر القدامى والمحدثين .

ما رأى الشاعر أحمد درويش فى الشعر الحر ؟ .

للوزن الشعرى موسيقاه الجميلة ، وماذا على هؤلاء الشعراء لو وضعوا معانيهم وأخيلتهم فى قوالب موسيقية توفر للقارىء الامتاع بذلك الفن الجميل شكلا ومضمونا .

هل يمكن أن تذكر لنا المؤثرات الحياتية التى يمكن أنه نعممها على الشعراء فى كل زمان ؟ وما مدى انطباق ذلك عليك ؟ .

• البيئة وما تضم من عوامل ومظاهر ، والسياسة وما تعكسه من صور قد تثير غضاضة أو تبعث رضا .

---

(١) موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس ١٧٦ , ١٧٧

(٢) السابق ١٧٨

• الحالة الاجتماعية وما يترتب عليها من حياة طيبة غذاؤها الإخلاص وشرابها الود والصفاء أو عكس ذلك .

• النشأة التى ينشأها الشاعر ، فالشاعر الذى يعيش فى ظلال الترف والنعيم يختلف عن ذاك الذى يعانى فقراً وبؤساً إلى غير ذلك من الوسط المؤثر ، ويظهر هذا بوضوح فى أشعار المعاصرين .

الشاعر أحمد درويش : شاركت فى مهرجانات شعرية حضرها معك أدباء كان من الممكن أن يكون لك ذكر مثلهم إن لم يفق إن أنت أذعت شعرك ، هؤلاء الأدباء لهم من الشهرة ما طبق الآفاق ، وقد اختيرت بعض القصائد التى أذعتها للتدريس لما فيها من حس وطنى وقومى ، فهل يمكن أن تحدثنا عن ذلك .

صحيح أننى شاركت فى عدد كثير من المهرجانات الشعرية التى حضرها معى عدد كثير من الشعراء البعض ساعدته الظروف ، والبعض حالفه الحظ فكان لهم صيت ذائع وشهرة واسعة وكلا الأمرين لم يتوفر لى ، ولكن قنعت بإحساس شديد ينبؤنى بأنى أضم شاعراً بداخلى .

أشعارك كثيرة كما أسمع ، ولكنى لم أقف على عدد القصائد فهل لى أن أجد عندكم جواباً ؟ .

بعد استبعاد شعر المناسبات أرى أن مالدى من القصائد يربو على السبعين قصيدة ، ومعظمها من القصائد الطوال فى مختلف الأغراض .

حتى الآن — مع أن لك نتاجاً شعريا يشغل مساحة كبيرة ، كما يمتاز بمضامينه الفكرية والشعورية القيمة — لم يضم شعرك فى ديوان أو أكثر ويطبع حتى يحتل مكانه فى التراث وتكون الصورة للأدب المصرى متكاملة فى فكر كل أبناء الوطن ، هذا ونحن نقرأ فى المجلات والصحف

صوراً من ألمع فتاج الشعراء وفى شعرك ما هو أشرق وامتع ؟.

أرجو أن يتم ذلك قريباً .

ما مدى ظهور الحس الديني والاجتماعى عند شاعر البحيرة ومصر الأستاذ أحمد درويش ؟ .

لقد كان للحس الديني والاجتماعى أثرهما الواضح فيما قلت من شعر ظهر ذلك في عدد كثير من القصائد الدينية والاجتماعية ، ومنها على سبيل المثال قصيدة « يانور » في ذكرى مولد الرسول ﷺ ، وفيها يقول(١).

يانور مئذا قد يقول لسانى	وضياك فتان السنا ربانى
يانور والدنيا ظلام حالك	والشرك يحدو دجوة البهتان
صحراء تضرب فى ضرير الليل	لا تدرى مدى لنهاية الحيران
ضلت سفينتها بليل آثم	يا شوقها للنور والشطآن

ومن الشعر الاجتماعى قصيدة « هذا الذى سموه حبا » وفيها يقول(٢).

الليل عطرى الهوى نشوان أسكره الربيع
وهناك . . . فى حضن الربيع . . . فى ظل الخميلة
وبربوة سلك الغرام إلى مفاتنها سبيله
حيث الهوى...والسحر...والآمال . والدنيا الجميلة
حب نما . . . وزها وأرخى فوق مغناها سدولة
والحب ما أسماه إن وثقته عرى الفضيله
والحب قدس طاهر إن لم تدنسة الرزيله

---

(١) القصيدة مخطوطة بخط الشاعر وعددها ثلاثة وستون بيتامن بحر الكامل

(٢) القصيده مصورة لدى وعدد أبياتها سبعون بيتا من مجزوء الكامل

— للشاعر دوره الاجتماعى فلو فقده قدراً كبيراً من قيمته إن لم يفقدها كلها . فما رأيك فى هذا القول ؟

— هذا صحيح ؛ فالشاعر الصادق جزء لايتجزأ من مجتمعه وقضايا ذلك المجتمع ، وبذلك لايكون الشاعر قد أدى رسالته وقام بدوره حتى يلتحم بتلك القضايا يؤدى فيها رسالته ويقوم بدوره .

— هل للشاعر أحمد درويش رؤيا محددة فى أسباب كساد الجانب الأدبى إن وافقتنى على هذا التعبير ؟

— من أسباب كساد الجانب الأدبى : عدم التشجيع من جانب وسائل الإعلام التى لاتجعل للجانب الأدبى نصيباً من جانب ، وعدم وجود المجلات الأدبية الخالصة كمجلة الأدب التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أمين الخولى ، ومجلة الآداب التى كان يديرها الدكتور « سهيل إدريس » ، ومجلة الرسالة التى كانت تتناول القضايا الأدبية لصاحبها الأديب أحمد حسن الزيات .

— ما الذى يمكن عمله فى تصور الشاعر أحمد درويش أو القيام به حتى تبث فى الأدب دماء الحياة قويه كما كانت وخاصة بعد إنشاء كلية اللغة العربية بدمنهور ؟

— عليها أن تقيم الندوات الشعرية والمجالس الأدبية التى تبحث فيها قضايا الأدب والشعر ، وأن تقدم الحوافز لطلابها الموهوبين ، وإصدار مجلة باسم الكلية تضم نتائج هؤلاء الموهوبين والدارسين والباحثين حفاظاً على التراث الأدبى .

— ٢ —

وللشاعر أحمد محمد درويش رؤيا فريدة فى معالجة موضوعات تجاربه

الشعرية ، فهو يقدمها فى إطار فكرى ينم عن المقدرة والقوة ، ويوا كب فكره بشعور فياض ، ويفرزها إفرازاً يلبسها ثوباً جديداً ، وفى صبغة حوارية تحمل فى ثناياها الصور الموحية التى تقدم إليك الموضوع فى إشراقه وسهولة ، ويكلل ذلك بالصدق مع الذات وبذلك يستطيع امتلاك الإنسياب والنفاذ إلى أعماق المرء ، وإليك عزيزى القارىء بعضاً من تجاربه لنكشف لك عن شىء مما فيها من فن وإبداع ، فهو فى عيد الأم لايقدم للأم وصفاً يصف فيه عناءها وما تحملت من أجل أبنائها ، وإنما يبحث فى هدوء عن أخص خصائصها التى تميزت بها حتى أصبحت لصيقة باسمها ، وهو لايدخل على مراده مرة واحدة ، وإنما يحلق بنا فى آفاق اجتماعية ليعالج خلال رحلته قضايا اجتماعية تمس أمن الأسرة والمجتمع والإنسان ، وهو من خلال هذه المعالجة يوفر للأم التى أعطتنا كثيراً مايضمن لها حياة تضم حتى بعض الراحة ، ويقدم الشاعر ذلك فى حوار جذاب تجمعه خطوط قصصية تنتمى إلى فكرة أساسية عضوية .

فالحنان ، هذا المعنى الإنسانى يجلس ذات أمسية فى عزلة يجتر آلامه ويرصد ما كان من غدر له فى سالف الدهر مرة ، وما هو ممتد فى كل زمن مرة أخرى ؛ وقد حرقت أحشاؤه وضاق ذرعاً بما كان وما يكون وظل معذباً ، ولنذهب إلى القصيدة لنرى كيف بدأ معـــه الشاعر حواره ، يقول(١) :

لمحت الحنان على رابية ‏ ‏ وحيداً بآلامه المضنية

تساءلت : ماللحنان المعنى ؟ ‏ ‏ وماذا به هـــذه الأمسية

فقال : ومالى لا أصطلى ‏ ‏ بجمر يحرق أحشائية

ويقرأ المرء ذات الشاعر أحمد درويش فى أشعاره وفى كل قصائده

---

(١) القصيدة تبلغ ٢٢ بيتا من بحر المتقارب .

فهو يعيش وزاده الحنان ، ولقد أحاطت به أثناء حياته التى كان يتلقى فيها العلم جيوش جرارة من الهموم والآلام ، فكان لايجد المنقـــذ منها أو المخفف عنه سوى هذا الحنان الذى يرشفه من دوحتى الأسرة ، يرتجيه لأوجاعه ، فهو قد عهده طباً لكل داء . يقول :

فقلت : وما شر ذاك العذاب وأنت المرجى لأوجاعيه

عهدتك طبا لكل النفوس تفوق لدينا أبا الأدوية

ولكن ! يعود الحنان فيعلن عن حيرته الكبرى وتشرده المرير ، فهو يفتش عن مسكن ويبحث جاهداً عن مأوى ، يراها الشاعر فى الكون كله كائنة ومن اليسير العثور عليها ، ويدور بينهما هذا الحوار الذى يبدؤه الحنان قائلا :

فقال أفتش عن مسكن ومهـــد تقربه عينيه

فقلت لك الكون ذا كله تخير أيا صاحبى ناحيه

هكذا فهم الشاعر بينما يعلن له الحنان عن كنه مسكنه ، فهو لا يأوى لغير الأفئدة والقلوب ، إلا أن القلوب قد تعاورت عليها الأمراض ، ويظل الشاعر فى سيره يتفقد القلوب ليقدم لمحاوره منها أنماطا يسكنها ، غير أنه يكشف للشاعر انزوائه عنها تقرأ بعض ذلك فى قوله :

إلى قلب زوج على زوجها تريه الحنان ولو ثانية

فقال : سكنت به ساعة فضقت بها زوجة قاسية

ويفتح الشاعر صفحة ليسجل فيها نقده وما يلمسه فى الحياة الزوجية ، وبالها من قسوة تظهر عندما يخيب ظن الزوج فى زوجته، تلك التى ظهرت بوجه ظن من خلاله إمكان مساعدتها له فى إقامة أسرة طيبة عمرها التاون ، كان ذلك من قبل ، ولكن هيهات مع الكثرة منهن .

ولاشك أن الرؤية والرؤيا كانا لهما تأثيرهما على الشاعر فى هذا الجانب، ويمقت الشاعر هذا الزواج الذى لا يقوم على علاقات طيبة تهدف إلى بناء صرح شامخ من الأسر التى تتمتع بالخلال الطيبة وتؤدى رسالتها على الوجه الأمثل، بل كل هدف المرأة منه المنظر المركز والتمتع بالجوانب الحسية والمادية، ومن هنا يسرع فيعلل ضيقة بقلب الزوجة قائلا :

إذا أظهرتنى له إنما لعارض أمر وليس ليه

ولتسمح لى عزيزى القارىء أن أعلن لك عن قدرة الشاعر على التعبير الدقيق وتمكنه من أدوات فنه فى قوله .

... ... لعارض أمر وليس ليه

هذا التعبير الذى يذهب فيه المرء كل مذهب حتى يستوفى كل العوارض، كما أن فى العبير ما يعكس تمجيد الشاعر للقيم، وذلك وتعمل من أجله الطباع السليمة، ويقنن له الفكر الإنسانى، ولا يعنى هذا عدم وجود القدوة فهى نادرة الوجود، وإلا فإن النساء المثليات الفضليات شهيرات شرفن صفحات التاريخ وأشرق بهن التاريخ .

وبعد أن يظهر بهذه الصورة حقوق الزوجة التى كان عليها أن تكون سكناً لزوجها ينتقل إلى الزوج ليلحى منه بعضا من الأعمال والمواقف التى تؤرق الحنان، وتجعله يلملم نفسه وينتمى ناحية أخرى جزئياً كئيباً، يقدم لنا الشاعر هذه اللوحة الفكرية الشعورية التصورية فى قوله :

فقلت : تخير فؤاد أب عطوف يبدد آلاميه
على زوجة شاركته الحياة وقضت لياليها عانية

ويعكس الشاعر ما استخلصه من واقع أسرته الهادئة المكافحة التى يمتد تعاون الأفراد فيها منذ أن كان أبوه حياً يظلل أولاده بوارف عطفه

وتمتد ظلال حنانه على كل أفراد أسرته بما فى ذلك زوجته التى هى أهل لهذا التمجيد والحنان حيث وقفت مع زوجها مشاركة فى بناء صرح قوى شامخ أسسه العزة والإباء والمداومة على العمل ، وثمارة العطاء المتجدد الذى يقدمه السابق منهم للاحق ، ولا يزال تعاونهم ممتدا حتى اليوم .

ولكنه بعد أن يسبح على سطح غديره إذ به يرسل الفكر إلى أعماق الآخرين فيجدها تتخبط فى ظلمات تؤرق بل تقتل كثرة من المجتمع ، ولهذا حل به الحنان وقتا ، وما أسرع تركه له ، ولكن لماذا ؟ تسمع الإجابة فى قوله :

فقال سكنت به ساعة   خلت الأمانى وآماليه

فما راعنى غير قلب خلا   إذا ما تزوج من ثانيه

فلا يدوم حاله ولا يستقر وصاله ، بل ينقطع الوداد وتناسى ما كان بينهما من وصال .

ويلملم الحنان حاله حزينا مؤرقا ليبحث له عن مأوى يجد فيه مبتغاه ، وتطالعنا فى هذا المكان وغيره من القصيدة ثقافة الشاعر الإسلامية فى تجاربه الشعرية على نحو ما سنراها بعد فى حواره مع الحنان الذى هو عند الشاعر قارئا لسطور التاريخ الإسلامى ومطلعا على كثير من القصص الدينى فى القرآن الكريم ، ونقرأ له :

فقلت تخير فؤاد أخ   يحن على إخوه مثليه

وتظهر عقيدة الشاعر وإيمانه بأن الحنان الأخوى والعلاقات الأخوية جديره باصطحاب الحنان ليسكن هذه الأفئدة الجافية ، والشاعر قدوة فى ذلك ، غير أن مادعاه الشاعر بالحنان لا يطمئن إلى مكان فيه أدنى غضاضة ،

ويلوح التاريخ للحنان بتلك الصفحة القاتمه ، والمذكورة فى سورة المائدة (١) ، يقول :

فقال لقصة قابيل عنف   يمزق روحى وأحشائية

ويظل يبحث عن هدفه ويشتد ظمؤه وشوقه إلى تلك الغاية ويجوب من أجلها السهول والأودية،ويستمر فى بحثه عنها فى كل القلوب ويستقصى فى بحثه عنها أكبر المخلوقات وأصغرها أو أهونها فى نظر البعض ولا يترك حتى الغاب وما فيه ، ولنقرأ له قوله :

وقال ظمئت إلى غاية   وجبت لها السهل والأودية
وفتشت عنها طوال الزمان   وكل المدائن والبارية
ونقبت عنها بكل القلوب   ولم تترك النمل أو هاميه
وفى الغاب عدت بقلب جريح   فيا لوعتى قسوة ضارية

وينقب ! ويطول البحث ويحرقه الظمأ ، وفجأة يهتدى إلى ضالته المنشودة ، فينادى والفرحة تغمره والسعادة تظلله ، تقرأ ذلك فى قوله :

وبعد قليل تنادى الحنان   وفى صوته نشوة عاليه
وقال رشدت إلى موطنى   سأقطنه كل أياميه
فؤاد يجدد ما جددت   له الأم فى صورة زاهيه

وما أجمل قوله فى الختام :

حنانك يا أمى لا يفتدى   وكيف وفيه سنا ربيه

---

(١) الآية ٣٠ من سورة المائدة .

ومع ما فى هذه القصيدة من صور بديعة فدقة التعبير فى القصيدة تكشف عما فيها من :

• طريقة الحوار التى تضفى على القصيدة جوا تشيع فيه الحيوية ، وهذه الطريقة تشكل ظاهرة فى شعر الشاعر أحمد درويش ، وتتراءى عبارات الحوار فى كلمات تكاد تجتمع فى « تساءلت ، فقال ، فقلت » تنادى .

• مقدرة الشاعر على التعبير عن الفكر فى سهولة بألفاظ لها القدرة على العطاء والإيحاء، ومن ذلك تعبيره عن مقدرة الحنان على تطبيب النفوس ونشر ظلال السعادة على الكون ، كما أنه أساس فى الطب النفسى ، فلمح ذلك فى قوله :

عهدتك طبا لكل النفوس   تفوق لدينا أبا الأدوية

وفى قوله على لسان الحنان لما سأله أن يسكن قلب زوجه ، فى هذا السؤال يتراءى لنا ما يوحى بالتمرد الذى يخترق قلب الشاعر بسبب نظرته الاستقرائية فى حياة الزوجية وما يعتريها من كدر يقطع عرى الوداد ، وفى قوله :

وهرولت يا صاحبى مسرعاً   ... ...

نقرأ إيحاءات الهرولة وما تحتها من ضياع الاستقرار وقسوة القلق والاضطراب ، ولعل من أسباب ذلك ما صنعته النظرة إلى المادية ، وتغير المعايير فى نظر الكثرة ، ويأتى الشطر الثانى مؤكدا لما فى القلق وما يتعلق به .

... ...   كئيبا غريبا على الرابيه

ويظهر إيمان الشاعر العميق بأهمية القيم التى تربى فى أحضانها ، وبين

عموديها ، وها هو ذا يعترف بها ، ونقرأ هذه المعانى فى كثير من أبيات القصيدة ، ومن ذلك قوله :

على زوجة شاركته الحياة وقضت لياليها عانيه

وفى قوله :

فقلت تخير فؤاد أخ يحن على إخوة مثليه

وإليك عبارة « فلملمت حالى » التى توحى بالغربة وضياع الأمن والطمأنينه ، ويقرر الشاعر أن الأم هى مأوى الحنان بيد أنها لم تكن كسابقتها فى سالف الزمان ، يقول :

سأسكنه رغم عنف الزمان ورغم أعاصيره العاتيه

ففى البيت إشارة إلى العلاقات الأسرية المفككة ، والشلل الذى منيت به أسر كثيرة فى عصر يغزو فيه المرء الكون كله ، وهذه تجربة من تجارب الشاعر أحمد درويش الذاتية ، فقد تلقى تعليمه فى وقت يندر فيه أولو المروءات .

وتتنوع التجربة الشعرية عند الشاعر أحمد درويش ، وتظهر خلالها مدى مقدرته القوية فى امتلاكه لناصية فنه ، كما تظهر براعته فى معالجتها ، فهو أحياناً يجمع أشتاتاً أساسية من الخيوط التى تكون تجربته وتتعلق بها وتظهرها جلية كما تزيدها ثراء وتصبح فى صورة قد يظن قارئها أن الشاعر يتكلم عن واحد من هذه الخيوط أو أكثر ، ولكن سرعان ماتقود القارىء إلى مايريده الشاعر ليرى اللوحة واضحة ، وبتعبير آخر يتحدث الشاعر فى كثير من تجاربه عن النتائج المتعلقة بموضوع التجربة ، ثم ينتقل من ذلك إلى مركز الانطلاق الرئيسى ، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل نراه يدخل على موضوع تجربته دخولا لطيفاً يأسر القارىء ، وتجدك أكثر أسراً بدخولك القصيدة واقترابك من مركز التجربة والوقوف

بجلاء على فكرها وموضوعها ، وهذا ما نلاحظه عنده كثيراً حتى فى تقديمه لبعض القصائد ، وهذه القصيدة التى أنا بصدد الحديث عنها الآن يقدم لها الشاعر بقوله :

« هناك وسط الغياهب والظلمات المستبدة بالشعوب الآثمة الطاغية وسط الحنين المتواصل والشوق العارم واللهفة الظمآنة لبزوغ فجر مشرق بسام ولد الفجر المقدس »(١) .

ويجلس الشاعر وحيداً على شاطىء الزمن ثم يرسل من فكره رسولا ليعبر الليالى ويقرأ فيها سفر ضحايا الأمم ، وبين الأسى والألم يتهامس القلب والدمع ويعزفان استنكاراً ودمعاً سخيناً وحزناً على قطعان البشر التى ظلت ضحايا للظلام وسبايا الحجر ، يسجدون للظلمات ويركعون للشرور ، ويضربون بمجدافهم فى ليل بهيم يقودهم الاستبداد إلى مهابط الجهل ، فتهوى هى الأخرى لتتخبط فى مهاوى العدم ، يقول فى مطلعها :

وحيداً جلست بشط الزمن	أقلب سفر ضحايا الأمم
وأرسل بالفكر عبر الليالى	فينتاب فكرى الأسى والألم
وأسأل قلبى ودمعى يجيب	أهلا رأيت قطيع البشر
يعيش كدود حوته الصخور	ضحايا ضلال أسارى حجر

. . .

يهيم على وجهه حائراً	ويضرب مجدافه فى الظلم
فمن مهمه حائراً مستبداً	إلى مثله ساجداً للصنم
إلى مهبط الجهل يروى به	ويستأنف السير فى مدلهم

ويقف الشاعر طويلا مع هذه الفعلة النكراء ، والمتمثلة فى وأد

---

(١) القصيدة بمقدمتها عندى بخط صاحبها .

البنات ، ولكن الشاعر لا يسردها سرداً ولا يحكيها حكاية كتب التاريخ ، ولكنه يقدمها للقارىء فى صورة ممتعة تلذ لعشاق الشعر وقرائه ، إنه يقدمها فى صورة حوار بلسان الوئيدة تلقيه على أبيها فى صور استفهامات ينساب منها الاستنكار ، وتتقاطر منها الحسرة والألم ، يقول :

فهذى عروس كغصن نضير تساق إلى الموت وسط النهار
تنادى أباها : أبى هل جنيت لأدفن فى الترب بين القفار

وكان عليه أن يكون بالفطرة رحيما ، أو بالغريزة — على الأقل — كالحيوانات الوحشية التى تعطف بغريزتها على صغارها ، ومن أجل هذا تخاطبه الفتاة قائلة :

أبى أين قلبك أين حجاك أمازلت تهفو لغى الفلاه
أتتبع دين الهوى والتجنى ومن ذا يدين بدين الطغاه

وعلى لسان الموؤودة يصور الشاعر رد القسوة كلها والطغيان والشرعة العمياء ، رد الأب العاتى :

فيصرخ فيهـا أبوها العتى وفى صـوته رقة قاسية
أبوك يدين بدين الجـدود ودين جدودك فى عافيه

فبئس ذلك الدين وبئست هذه السنة ، ويالها من شريعة عمياء ، تقرأ على لسان ما كان يدعى فى سالف الزمان بالأب : تقرأ قوله :

ووأد البنات هنـايا بنتى تحتمه سـنة البـادية
وكيف التحول عن شرعتى وشرعى عمى وأجـداديه
دعينى أوارى عليك التراب وأرجع والنفس لى راضية

ويحدث كل ذلك من الأب دون معاناة منه حتى لأدنى درجات

الإحساس بالذنب ، ولكنه فخور كل الفخر معتز كل الاعتزاز ، ويردد ألحان النصر ويطلب من ذويه تردادها معه :

ويرجع والفخر ملء الرداء   يردد ألحانه المخزيه
وأدت ابنتى يا ابن عمى فجلجل   بنصر ابن عمك فى الرابية

ويتابع فكر الشاعر عبر الليالى ليتم له عرض صور من سفر ضحايا الألم ، ويخبره السفر فى هذه المرة بضحايا الحروب التى أججتها ظلمات الجهل ، يقول :

ويشعل حرباً تهز الدنا   وحجته أنه من قبيله
يراها تخلف سهد الثكالى   ودمع اليتامى فيشفى غليله

وينطلق من هذه الصفحة ليقرأ صفحة أخرى من ضحايا الموبقات الأخرى ، إنها الخمر والميسر والرذيلة التى لا تخلف غير أطفال بؤساء .

ودنيا تموج بفحش الضلال   وكأس تعج بخمر الرذيلة
وطفل يصيح ... ! أريد الحنان   فأين أبى : أين أين سبيله
وأم يمزق أحشاءها   حنين ابنها فترد ذليله
أبوك بنى قريب قريب   أمامى ولكن فقدت دليله

وها هى ذى الشرور والمفاسد التى يأنف المسلم من ذكرها ترددها المرأة فى الجاهلية مستنكرة ما يحدث والأسى يتقاطر منها ، وهذا دليل على أن المرء لو ترك لفطرته لاختار الإسلام ، واقرأ معى قولها تقول :

أهذا ؟ أذاك ؟ لقد حار لبى   فإنى بنى لكل قتيله
فلا تلحنى يا بنى فإنى   ضننت ومالى فى ذاك حيلة

ويأتى دور الإرادة الإلاهية ، ويقترب الأمر من ميقاته الزمنى فينتصر الحق فى النهاية .

ويبدو نور الفجر الذى مزق ليل الأسى ، ويتدفق نبع الهدى فينصف المظلومين ، ويرشد الحائرين . ويحمى حمى العفة ، ويتردى الأشقياء فى فى هاوية الجحيم ، ولنأخذ فى قراءة النتيجة المترقبة التى تظهر مقدرة الشاعر الفنية فهو يدخلها عليك دخول الماء السلسبيل قلب الظمآن أجهده طلب الإرتواء ، يقول :

ومن بين ليل الأسى والضلال   إذا هم بفجر الأمان بدا
ومن قلب صخر وقلب جبال   تدفق سلسال نبـــع الهدى

. . .

من الغيب جاء يرد الطغاه
ويروى الظماء ويهدى الحيـــارى
ويرفـــع للقمم العاليـــات
ضحايا الحضيض وينجى العذارى

. . .

ينادى من الغيب إنى هنا   محدق بقلبك عبر السماء
أطل عليك خلال الليـالى   فيفزعنى موكب الأشقياء

ويتجلى لك عزيزى القارى. أن الشاعر يتنفس الصعداء حمداً وشكراً على هذا التخلص من التخبط والتردى فى مهاوى البلاء والاصطلاء بنيران الفحشاء والفساد إذ نراه يكرر ذكر هذه المفاسد فى بيت بعد ذكره لها فى تسعة عشر بيتاً ، وكأن كابوساً قد جثم على صدره فلما جاء الهدى

وتفجر النور انزاح ما كان قد جثم عليه من ثقل الهم فراح يترك نفسه لشهيق في طويل ليزيح عنه سحب الهم وليخفف آثار لوعة الماضي ويدخل في بداية عهد جديد ، يقول :

ضلال وبغى وحان وكأس وحرب تجر ذيول الفناء

ثم يستأنف ذاكراً ما هو مأمول ومرتقب ببزوغ هذا الفجر الجديد الذي به قد خفقت رايات الرحمة على الكون وامتد على الإنسانية ثوب السلام ، واهتز لهذا المولد العظيم ما لم يهتز من قبل . بل كان ذلك إيذاناً بتصدع أركان الظلم وتهدم الجبروت ، يقول :

سأبسط ثوب السلام عليك وأنشر في الكون حلو الضياء
ويرنو الحيارى لداعي السماء فيلقون فجر الهدى يولد
تواكبه رحمات الإله ويسطع من بينه أحمد
فتسرى بهم رعشة المطمئن لفجر الضياء لفجر الغد
وإيوان كسرى على ما به يصدع من روعة المولد

وفي ثنايا الأفكار تظهر بوضوح الروح العلمية ، حيث يهتم الشاعر بذكر النتائج وخاصة في مثل هذه التجارب التي تهم البشرية كلها لأن في نجاحها تخليص للبشرية من براثن الهلاك وتأخذ بيدها إلى مرافىء القوة وتضعها في المصاف الأولى وفي مقدمة المواكب المستنيرة بالاسلام المستظلة برحمات الإله ، ويحضرني في هذا الموقف الجامع للضدين اللذين هما الشرك وما فيه والنور وما يحويه يحضرني قول الشاعر :

ضدان لما استحسنا اجتمعا والضد يظهر حسنه الضد

وبهذه الصوره استطاع بما يمتلك من مقدرة فنية وثروة تعبيرية أن يواكب الامتداد الشعوري بثوب تعبيري ملائم يجمع بين القوه والسولة

والإيحاء ، والإمتاع ؛ فالقاموس الشعرى فى هذه القصيدة يضم كثيرا من التعبيرات ذوات الدلالة الإجتماعية التى هى أساس فى تجربته من « وأد ، وظلم ، وحرب ، وقتل ، ونحر ، وحان ، وكاس » وانظر على سبيل المثال لا الحصر كيف صور الشاعر البشر — وهم يهيمون فى الظلمات قبل انبلاج النور — بالقطيع مرة وبدود حوته الصخور مرة أخرى و« أسارى حجر » مرة ثالثة ، كما يصور القطيع تائها فى مهاوى المهلكة بقوله :

ويضرب مجـدافه فى الظلم

ثم تصويره للأب العاتى فى عودته بعد وأد إبنته بهذه الصورة النفسية حيث يقول وهو عائد من عاره « والنفس لى راضيه » وهذه الصور تعكس الجانب الاجتماعى ، ولنعد سويا إلى بعض العبارات والألفاظ لنقف على بعض من إيحاءاتها ومكانها فى التجربة ، فعبارة « كدود حوته الصخور » تعكس المهانة والذلة والاستعباد وضياع القدر والهمجية ، وكلمة « دود » توحى بالضياع والاحتقار إلى غير ذلك مما يقرؤه المتأمل فى جوانب اللفظ فلفظة « أبى » كلمة لها مدلولها الواضح إلا أنها هنا توحى بالحنان والعطف والحماية والرأفة والصلة القوية ، وكلها تتنافى مطلقا مع ما يقوم به الأب من وأد وغيره ، وكلمة «أدفن» تعكس غاية القسوة والجفاء وموت الجانب الإنسانى وفقدان الضمير ، وكلما زدت تأملا فى هذه الألفاظ زدت جنيا ووقوفا على إيحاءات أخرى ، وأما لفظة « دعينى » فنقرأ فيها الصراع النفسى الذى يجتاح قلب هذا الجحود ، كما تحس بمبلغ ما وصل إليه من الجهل والغلظة والسفه فى التعبير بكلمة « مجلجل » .

وفى القصيدة بعض من العبارت التى لها إيحاءات إيمانية ، فعبارة « أطل عليك » فى قوله :

أطل عليك خلال الليالى . . . .

توحى بانكشاف المخلوقات لله تعالى انكشافا كاملا ، كما توحى

بالقدرة الخارقة والارادة العظيمة والهيمنة الكاملة والتدبير المحكم، فكل شيء عنده بمقدار .

وأما الشطر الثانى فى البيت السابق .

. . . . . . وأنشد فى الكون حلو الضياء

فيوحى فيما يوحى به بعموم الرسالة وانسانيتها وأن فى اتباعها تحقيقا لحياة حلوة هانئة ، كما تقرأ جمال الاعتدال الذى هو مطلوب فى كل شيء .

ومما يلاحظ تنوع القافية فى هذه القصيدة ويكثر هذا فى شعر الشاعر مما يجعل هذا التنوع يمثل ظاهرة واضحة فى شعرة ، ولعل السبب فى ذلك هو دفع الرتابة وسيراً وراء ما جادت به القريحة .

. . .

وللشاعر تجربة شعرية أخرى فى نفس الموضوع السابق بعنوان « يانور » ولكنها على امتداد أشمل وفى ثوب ممتد إذ يبلغ عدد أبياتها واحداً وستين بيتا من بحر الكامل ، وحيث لا يتسع المقام — فى تصورى — للتحدث عن قصيدتين فى تجربة واحدة بإسهاب أسوق إليك بعض أبياتها لترى مبلغ اتضاح الرؤيا عند الشاعر وقدرته على امتلاكه لمكونات فنه الشعرى . يقول فيها :

يانور ماذا قد يقول لسانى
وضياك فتان السنا ربانى

يا نور يا سر الوجود وسحره
والمكمن الأسمى عن العرفان

يا نور يا من قد هدى بشعاعه
ركب الحياه وموكب الأزمان

يا نور إنى فى حماك لعاجز
عن وصف سر جلالك الروحانى
أنا قد عجزت وليس عيباً أن يرى
عجزى أمام مجسم نورانى
وأنا الضعيف فكل أمرى أننى من طينة فى صورة الإنسان
ومكانى الأرض التى أحيا بها ومكانك الأسمى رفيع الشان
قل لى وكيف ؟ وكيف أرقى للعلا
وأطوف حول منابع الرحمن
هيهات أن أرقى لمنبع نوره شتان بين مكانه ومكانى

ثم يذكر ما كان قبل ميلاد النور من جهل واستبداد وظلم فيقول :

وبريئة لما تزل تحت الثرى مزهولة مما جرى وتعانى
ماذا بها؟ وهى التى لما تزل طفلية الأحلام والتبيان
راحت ضحية من تبدى قلبه أقسى من الجلمود والصوان

وبعد ذكره أنماطا من البغى والطغيان والفساد يشفع ذلك بذكر لهفة الكون وظمئه وتطلعه الشديد إلى الخلاص . يقول :

والكون أمسى فى حنين دائم تبدو عليه دلائل الاهفان

ثم يعلن عن عجزه البين عن مدح خير الأمة محمد ﷺ ، فشعره لا يؤدى جانبا من وصف عظمة الرسول عليه السلام ، غير أن شعره يشرف بذكر الرسول ﷺ ، ومن ذلك قوله :

فلو أن شعرى من جمان ناصع أو من يتيم الدر والعقيان
أو من نجوم زاخرات تزدهى سحرية الأضواء واللمعان
أو أننى كنت الفصاحة والنهى والقمة العلياء فى التبيان

ما كان شعرى بالمؤدى جانباً يا بن العلا ياملهم الفنان

وهذه القصيدة تذكرنى بقصيدة الشاعر « هاشم الرفاعى » التى عنوانها « رسالة فى ليلة التنفيذ »(١) وهى التى يقول فيها :

أبتاه ماذا قد يخط بنانى والحبل والجلاد منتظران !

هـذا الكتاب إليك من زنزانة

مقـرورة صخرية الجـدران

لم تبق إلا ليلة أحيا بهـا وأحس أن ظلامها أكفانى

ولا شك أن الشاعر قد قرأها وعايشها فهى صورة للظلم الغاشم آنئذ ولا ريب أن الشاعر عايش هذه الفترة وما فيها من جهل وظلم واستبداد فكان من المعجبين بالمرحوم هاشم الرفاعى وبتصويره وبفكره ، ولعل هذا الإعجاب هو الذى ساقه إلى معارضتها وزنا .

. . .

وننتقل إلى تجربة ثالثة نقرأ فيها هذه المرة ذات الشاعر ونعيش مع أدب الاعترافات الذاتية التى تعكس معاناته وبعض ما تكبده من آلام وأحزان وما تحمله من هموم حين كان يتلقى العلم فى معهد الاسكندرية الدينى الثانوى عام ١٩٥٤ م فقد كان الشاعر حينئذ يمثل الطائفة التى كانت تعيش بشق الأنفس ، لأنه كان من الطبقات الكادحة ، ولم يكن يرضيه أن يجمع مالا تتقاطر بسببه الكرامة أو يتصدع به بنيان الوطنية عنده ، وإنما عاش يعمل ويعانى الآلام تعبث به موجات القسوة وتسلمه كل موجه لغيرها ، ولا يجدله متنفساً غير الكلمة الصادقة ، وهـذه التجربة لا تكشف عن ذات الشاعر فقط ولكنها تعبر أيضا عن حياة الكثرة

---

(١) ديوان هاشم الزماعى ٢٤٣ تحقيق : محمد كامل حته

من الشعب الكادح الذى عاش حياة البؤس والحرمان والألم ومتنفسه الدمع السخين .

وتبدأ نسج خيوط القصيدة فى نفس الشاعر منذ بدأت الآلام تسكن جوانحه ولكنها تفجرت على إثر حادثة عادية - آنئذ - ولكن ظروف الشاعر والعوامل التى أحاطت به جعلت هذه الحادثة أليمة الوقع على النفس

وملخص هذه الحادثة - أن الشاعر وهو طالب فى معهد الاسكندرية كما سبق أن ذكرت ، كان يعطى درساً فى اللغة العربية لابن أحد أثرياء ذلك العهد ، وقد اعتاد الرجل أن يعطى المدرس مبلغ جنيهين مقدماً ،وكان وقع هـــذا المبلغ عند الشاعر عظيما ، فقد كانت له قيمة شرائية كبيرة مما جعله يبخر كثيراً من الآم الحاجة كل شهر ، وقد تعود شاعرنا وضع ذلك فى حسبانه أول كل شهر ، ولكنه يذهب هذه المرة وكما تعود كان قد رتب أمره وأدخل فى حسابه هذا المبلغ ، ويجلس الشاعر مع تلميذه وعيناه تسترق النظرة نحو حركة تكون إيذانا بالدفع ويشرح له درسه ويمر الوقت سريعا ويرتقب المدرس أجره ، ولكن الأمر كان على عكس ما جرت به العادة ، إذ بات ينحت ذاقه وتمر اللحظة تلو الأخرى وكأن كل لحظة آلة نسج سريعة تنسج أكفان الأمل الذى عشعش بين جوانب الشاعر وقت ذهابه ، وتقطع خيوط الرجاء ويحتضر الأمل وتتبخر أمنية الشاعر لتحل محلها الحسرة والبؤس وهكذا تزدرد حيتان الكدر آماله عندما تيقن أن والد الطالب الذى كان يدين بالمسيحيه ينادم صحبته وقد لعبت بهم الخمر فأفقدتهم مسحة الآدمية فخرج الشاعر و كله ألم وحسرة ، أناس يحصلون على مايقيمون به أودهم ويحفظون به حيـــاتهم بشق الأنفس وآخرون يضربون فى النعماء تلازمهم التخمة وتتجمع الآلام والأحزان والهموم التى نسجتها وصنعتها عاديات الزمن لتخرجها هذه الواقعة فى صورة كاملة تحت عنوان « دموع شاعر » .

واسمح لى عزيزى القارىء إذا قرأت معى تقديمه للقصيدة إذ يقول :

« هذه قصيدة بائسة سطرتها وأنا بائس فى ليلة من ليالى شقائى وحرمانى وكان مدادها دمعى السخين ممزوجا بدم القلب الجريح الذى كان يسيل منه فى تلك الليلة من فرط حرقته وأليم عذابه »

وينطلق الشاعر فى بدء قصيدته بهذا الأسلوب الأنشائى الذى يعلن عن الألم ويسفر عن الحسرة ولا يملك معه المرء إلا أن يقف متعاطفا مع هذا الحائر البائس الذى عاداه الدهر فظل يصطلى بنار الشقاء ولا تتجاوب معه مخففة آلامه إلا دموعه الصادقة ، وتحت كل دمعة سر دفين يضم آلاماً وأحزانا وبؤساً وشقاء ليس على نفسه فقط ولكن على هؤلاء الذين انتظموا فى سلك الحيرة وكبلوا بالشقاء القاتل الذى انعكس على الشاعر فأصبح يرى **كل** شىء قاتماً ...

بهذا الأسلوب يفتتح الشاعر هذه السحب المحرقة ، وينظم قاموس الحيرة والسهد والاصطلاء بنار الشقاء بقوله :

سلوا عبرتى فهى مثوى الخبر
ودمعى صدوق إذا ما انهمر

سلوها تجبكم عن المصطلى
بنار الشقاء ومضنى الفكر

وذاتية الشاعر أحمد درويش لا تعنى الفردية الضيقة وإنما هى معيار للحقيقة يستطيع صاحب البصر أن يقرأ من خلالها حياة الآخرين

ولهذا :

ستنبيك أن وراء الدموع نفوساً حيارى بجور القدر

فالنفوس محجوبة وراء هذه الدموع ، ويعيش غريق هذه الحجب المظلمة ، ويطلق الشاعر فكره وراء بصره الثاقب ليلتقط صوراً لكثرة ممن يعيشون فى هذه البؤرة العمياء التى لم يسمح القدر لأحد من هؤلاء المساكين بالخروج من إطارها و هؤلاء الذين يعيشون على هامش الحياة ، هذا الذى أقلقه حتى أخرجه الألم عن طوعه فراح يصف القدر بالجور ، والدهر بالفجور مما يتحفظ الشاعر منه الآن ولنسمعه يصف هذه الحياة فى قوله:

وأن حياتى سهاد مقيم   وبؤس ممض ودهر فجر
فإن عبر الدمع عن لوعتى
فصدق فما الدمع إلا أثر

وينتقل من هذا الوصف العام إلى حكاية قصته السابقة التى فجرت هذا السيل من الآلام ، وفى ثنايا الأبيات تهب عليه الأفكار الفلسفية التى تراود نفوس الكثير من البشر من رياح الفناء والضياع ، وكثير مما يؤلم النفس الإنسانية ، يقول :

فى ليلة من ليالى دموعى   تناهت لديها معانى الخطر
تحيط بها عاديات الليالى   وتزخر فيها بحور الكدر
وقد حوت البؤس فى جعبتيها   وبين دجاها الرهيب استعر
وسوط العذاب يغنى بها   نشيد الفناء الأليم الأثر
ويرقص دهر بها ساخرا   كما يسخر الفارس المنتصر
زويت   ..   ..

وهكذا تطول الجملة بمتعلقاتها كثيرا عند الشاعر حتى تصل إلى هذا الحجم ، وهذا الطول يعنى عند الشاعر عمق التجربة وقوة الشحنة وما تحمله من امتداد الهم والحزن الذى ناسبه إمتداد الثوب التعبيرى لافراغ ما فى

النفس من شحنة العذاب وإعلانا للحسرة التى منى بها إذ نراه يرى صور الكدر والبؤس والعذاب والفناء والألم وسخرية الدهر ، وهذه الصور تؤرخ لقطاع زمنى عاش فيه عامة الشعب فى بؤس وألم ، فالشاعر يترجم المشاهد اليومية وينقلها إلى مجال الفن ، ولا يستطيع القيام بذلك إلا من أوتى موهبة أدبية رفيعة .

وها هو ذا ينتقل إلى الطبيعة ليرى فيها مسلاة له وريا من هذا الظمأ ، وليتجاوب معها ، ولكنه يقف حزيناً أمام زهرة يرى فيها صورة نفسه ، كما يخلع من إحساسه عليها فى صور بعيدة عن المباشرة ، هذه الزهرة التى تعانى الهموم والآلام والذبول ، تلك الزهرة التى أصبحت هدفا لسهام الزمن النافذة ، وبروح الفردية الراقية ينصهر الشاعر فى بوتقة الجماعة ، ويعيش مع هذه الزهرة التى حفتها المهلكات فيتخذ منها رمزاً له ولكل من هو على شاكلته ممن ذبلت حياتهم دون أن يشموا رائحة النعيم كما روى الشاعر .

... كما رويت زهرة　　على وجنتيها رواه الصغر
رماها الزمان ولما تذق　　لطيف النسيم ونجوى القمر
ولم ترتشف من رحيق الندى　　ولم ترتو من شفاه الغدر

وتشاركه الزهرة الشقاء ، فلم تر طعما للذة ، ويربطها بالشاعر هذا الخط الحسى الدقيق ، فقد هبت عليها رياح الفناء .

ولم تر فجرا بهى السنا　　يداعب فجر صباها النضير
رماها الزمان بقلب الدجى　　وفى مكمن مستبد وعر
تسائل فى حسرة نفسها　　ألا ليت دهرى ماذا الخبر

ويفيض الاستنكار من الشاعر فيحمله للزهرة التى تستفهم مستنكرة فى قولها .

أيزوى شبابى الطرى الإهاب بدون أوان ولم استشر

وقطل علينا فى هـذه القصيدة روح التأثر بالخيام فى رباعيته فى قوله (١) :

لبست ثوب العيش لم استشر وحرت فيه بـين شتى الفكر
وسوف أنضوا لثوب عنى ولم أدرك لماذا جئت أين المفر ؟

وتذكرنى زهرة الشاعر بزهرة إيليا أبو ماضى » غير أن زهـرة الشاعر تتعذب وتلفظ أنفاسها مرة واحدة ، أما زهرة « أبو ماضى » فقد جثمت عليها تيارات الشلل لما :

... ... جناها ولوع بالزهور لعوب(٢)
رآها يحل الفجر عقد جفونها ويلق عليهـا تبره فيذوب

فالزمان لم يرمها بالفناء ولم يرقص الدهر بها ساخراً ، ولـكنها تمعت بلطيف النسيم ونجوى القمر ، وارتوت من الغدران ، إلا أن مصيبتها هذه المرة كانت على يد ظالم وجهته الأنانية الحمقاء وقادة الجهل فصنع بها ما صنع ولهذا .

ثوت بين جدران كقلب مضيمها تلتمس فيها منفذا فتخيب

ويعكس الشاعر سخطه على هذا المصير الذى يظهر فى قول الزهرة التى شخصها الشاعر حين تقول :

فيا ليتنى لم أكن زهرة إذا كان هذا مصير الزهر

---

(١) رباعيات الخيام ترجمة أحمد رامى ط ٤ مطبعة غريب

(٢) الجداول ١٦، ١٧ ط ٢ — ١٩٦٠ م

ونلاحظ في القصيدة بعض السمات الأسلوبية التي تشكل عنده ظاهره واضحة ومنها :

استخدام بدء واحد لأكثر من بيت ، ويظهر ذلك كثيرا في شعره ، ومن الأمثلة على ذلك من هذه القصيدة «رماها الزمان » و « رماها الزمان» ولعل هذه الظاهرة تدل على كثافة التجربة وقوة التدفق والاستقصاء والعمق ، ومحاولة التنفيس عما في النفس بقدر يتناسب مع كثرة الهموم وطولها وشدة وقع الآلام . . !

كما يكثر عنده الاستفهام الذي يعلن فيه الشاعر عن التحسر على ما بعد الاستفهام كما ينبي عن شدة اللهفة للخلاص من هذه القلاقل والاضطرابات

اختيار الشاعر للكلمات التي توحي إيحاء قويا وتتناسب مع قوة التجربة ، وانظر معي قوله :

وأن حياتي سهاد مقيم ... وبؤس ممض ودهر فجر

فكل لفظة في الشطر الثاني من البيت السابق تمثل طاقة قوية تناسب وقع الألم على النفس ويظهر هذا بوضوح في جل الأبيات .

ورغم هذه الآلام فالشاعر يمتلك من القوة ما يمكنه من السير في مهب الآلام مخترقا سحب الأحزان توجهه إرادته وعزيمته هاتان اللتان يجدف بهما في معمان الخطر بين رياح الهموم وموج الردى ، يقول :

وفي بحر دمعي سرى زورقي ... يجدف في معمان الخطـــر
تهب عليه رياح الهمـــوم ... وموج الردى صاخب مستعر

ويفضي الشاعر بما يقلق الفكر ويراود الكثير من البؤساء الذين يعانون ما يعاني ، فهذا الشقاء والبؤس وكل جيوش الهم لا أمل له في الخلاص منها ، ولكن الرجاء دائما يداعب حتى الإنسان الذي يظن أن

الحياة سوف لا تحلو له أيضا ، حتى إذا أدلهم الأمر أدخله ذلك فى متاهات الاستفهام التى لا تفسر إلا عن الحيرة والألم والقلق حتى يصير غنياً فى الشقاء ، ويقول :

وحار فلم يدر أين المصير ولم يدر أين سينهى السفر
وملاحه عبقرى الشقاء نديم الأسى نابغى السهر
طوته الليالى بأهوالها وأودع فى قلبها المكفهر

يحيط به العذاب من كل جانب ومن كل لون يقول :

وبين يدى كئوس العذاب وتلهب ظهرى سياط القدر

وبعد كل هذا فقد جرح الأسى قلبه فاستقر الجرح فى فؤاده ولم يعد يسمح لخيالات الأمانى بمزاحمته ، فحين تراود الأمانى نفسها فى الدخول إلى قلبه لتنسج لها مكانا يغلى جرحه ويشتد فيجرع الشاعر كئوسا من العذاب ، يقول :

وجرح بقلبى أليم أليم وإن هدهدته الأمانى نغر

ويضرب الألم قيوده حول الشاعر فلا يستطيع الانفكاك عما يصنع فيه ، يقول :

وإن أن جسمى من لوعة يبدل سوطاً شنيع الضرر
وإن هبت الروح تشكو الضنى أعلت بيأس فلم تقتدر
وإن رحت للدهر أشكو له يجرعنى الدهر كأسا أمر
ويوصد دونى أبوابه ويتركنى فى مهب الفكر

وعلى الرغم من ذلك كله يمشى الشاعر حاملا قيثارته التى يضرب على أوتارها أنغاماً حزينة يزينها بلحن الشقاء لنقرأ فيها شخصية الشاعر ، يقول :

وحين أرى اليأس فى خاطر ... وفى ناظرى مرتم مستقر
أسير بليلى ليل الحيارى ... وليل الحيارى طويل عكر
أغنى ولكن بمغنى حزين ... فلحنى شقاء وبؤس ومر
وآوى إلى سلوتى وهى شعرى ... وشعرى صديق وفى أبر
وشعـــرى كئيب له لوعة ... تذيب القلوب إذا ماذكر
فما هـــو شعر ولكنه ... دموع الحيارى تشق الحجر

وفى هذه القصيدة نرى الشاعر

— ينطلق إلى الطبيعة يتجاوب معها ، فهى مسلاته وفيها ما يزيل قره وحره ... كما يستعير ما يتصل منها بتجربته ويعكس ذاته ، فهو يأخذ منها — مثلا — الدجى ، الزهرة ، النسيم ، القمر ، الرحيق ، النـــدى ، الغدير ، السنا ، الفجر ، الرياح ، المرج ، الليالى ولا شك أن لنشأة الشاعر بالريف أثر فى ذلك .

يخدم الشاعر الألفاظ والعبارات فى رسم الصور التى تعد أساسية فى بيان التجربة النفسية ، استخداما جيدا ، ومن ذلك على سبيل المثال هذه الأسطر :

« ليلة حوت البؤس فى جعبتيها » .

« يرقص دهر بها ساخراً .

« ذويت كما ذوت زهرة » .

وتذق لطيف النسيم » .

ومن الكلمات أيضاً ، نجوى القمر ،و « نديم الأسى » و « سياط القدر »
وعبارة « وإن هدهدته الأمانى نغر »

— استخدام الشاعر فى ألفاظه قاموساً من الأحزان جمع فيه هذه

الكلمات والشقاء والحيرة ، والدموع ، والعذاب ، والألم ، والسهر ، والبؤس ، والقدر الجائر ، والدهر واللوعة ، والعاديات ، والليالى ، والكدر ، والدجى ، والهموم ، والرياح ، والردى ، والحسرة ، والذبول ، والفناء ، . . . .

إنها قصيدة ضاربة بسهم وافر فى محيط الأحزان ، ولعل هذا الذى جعل المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى يعلق عليها عندما ألقاها الشاعر فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٦٠م

بقوله « إنها تجمع قاموساً من الأحزان والآلام » هذا التعليق الذى أثار كوامن نفس الشاعر وجعله يرد على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى بقصيدة « فلسفة الحرمان » التى يقرر فيها : أنه لا يعشق الألم لذاته ولا يميل إلى الحزن لذات الحزن ولكن من أجل معرفة قيمة السعادة ولذة التمتع بها إذا حصل عليها وتحققت له ، وأن كل ما يقابله المرء فى حياته من صعاب لا تمر دون فائدة ، فالآلام والأحزان والظلمة وغير ذلك من عقبات تجعله دائماً فى لهفة عارمة لبسمة ضوء تجدد له آماله وتملأ عليه حياته أحلاماً وضاءة .

وإن المعاناة فى سبيل الوصول إلى القمة ستجعلك تدرك فضل ما صادفت من صعاب ، ولو كانت الحياة نعيماً متصلا ما شعر الإنسان بطعم الحياة ، ولتبلد إحساسه عند ذلك النعيم ، فلولا الليل وظلماته وشعورنا بكآبته وبلادته وأهواله لما أمتعنا نور القمر الساحر الجميل ، ولولا الظلمة أيضاً لما كان للفجر فى نفوسنا ذلك الأثر العميق ، ويظل الشاعر موضحاً فلسفة الحرمان التى يقول فيها(١) :

---

(١) القصيدة ٤٨ بيتا من بحر المتقارب وهى مخطوطة لدى

أحسن أخى روعة للنغم اذا ما تدثر ثوب الألم
ويسبى فؤادى ترداده ويسمو بروحى فوق القمم
ولم يسبنى فى ثياب النعيم كأنى لديه بليـــد أصم
.. فلا تحسبن الحياة جحيما اذا خضت أشواكها والسقم
تأمل هناك ... تراك شغوفا لدفقة نور خلال الظلم
ولو أن ليلك كان ضياء لخلت السعادة فى المدلهم
... وأدرك فى الليل سر النبوع وسر الطموح إلى القمة
... ولولا الليالى وظلماؤها لمـــا كان يسبيك نور القمر

فن البارودي بين التقليد والتجديد

مقدمة :

ترددت فى نواحى مجتمعنا العربى صرخات مغرضة ، وصيحات عاتية تحتضر أدباءنا وتنتقص لغتنا وتغض من شأنها وتزعم أن تراثنا من الفن ناقص يعوزه الكمال أو جامد يحتاج إلى بارع الفكر ورائع الخيال . بل لقد رأينا مناظرات تعقــد ومناقشات تدور يراد منها أن تلقى فى روع الناس أن الأدب العربى لا يكون أديبا ولا يخلق شاعرا جزل القول رصين البيان فأحببت أن أنبه إلى ضلال هؤلاء وإلى خطر ما يندفعون فيه من باطل المزعم فضربت لهم المثل الحى بالبارودى ونبوغه فى شعره وزعامته فى فنه وتأثيره القوى فيمن جاء بعده ليدرك الذين التبست عليهم الحقائق بالاوهام واشتبهت عليهم الواقع بالاحلام . ليدركوا أن الادب العربى فياض بأسمى ما تجود به القرائح وأروع ما يطمع إليه الخيال من بديع الصور وجمال التصور .

وإذا كانت قد مرت به فترات ضعف ولحظات جمود وعصفت بجماله فتخلف عن آداء رسالته . فذلك لأن أبناءه قد أزوروا عنه وانصرفوا عن استجلاء محاسنه وتذوق بدائعه .

لقد نهل البارودى من معين الأدب العــربى وارتضع من أفاويقه ما وافق ذوقه . فآلت إليه زعامة الشعر العربى فى العصر الحديث .

تمهيد

قبل الحديث عن البارودى يحلو لى أن أنبه الأذهان إلى المرحلة التى تداعى فيها البناء العربى بضعف الأمه العربية وخضوعها للاعاجم الذين لا يقدرون هذا التراث الجميل ، ولا يعرفون لسان أهله ولاهم لهم إلا ابتزاز الأموال من الشعوب المظلومة دون مقابل من علم أو صحة أو غنى فتفشى الجهل وساد الظلم واستعجم الشعراء ولحنوا لحنا فاشيا ، وكانوا أبعد الناس عن الاساليب القوية ، والمعانى الواضحة ، والشعور السليم ، وخانتهم الاداة المعبرة ، وأصبح همهم النظم الذى لا روح فيه ولا معنى له ، والذى يساق فى عبارة ركيكة غثه وفى حشد زاخر من المحسنات لستر عوازه(١) .

وقد كان الشعر يلفظ أنفاسه عيا ومرضا على يد السيد على الدرويش (١٢١١هـ – ١٢٧٠هـ) المولود بالقاهرة وقد نشأ بها وأغرم بالادب ، وحفظ كثيرا من الشعر وأصاب شهرة كبيرة فى زمانه ، وتقطف أبياتا له من قصيدة يمدح بها نقيب الاشراف السيد البكرى :

يأيها المولى الذى شهد العلا يرقى بقدرك
والبدر فى أوج السما لا يرتقى أبدا لجدك
دم فى سرور يزدهى وبه تنال شريف قصدك

وأما السيد محمود صفوت الساعاتى فانى حين أسوق الحديث عنه أجد له قصيدة شذت عن مستوى شعره ، وجاءت عين قصائده ، ومن حر

---

(١) أفدت من البحث القيم الذى كتبته استاذنا صادق خطاب عن البارودى خط بمكتبة كلية اللغة العربيه بالقاهرة .

كلامه تسمعها فتخال روح البارودى فى الفخر ، أو تخال أسلوب البارودى وهى قصيدة يمدح بها أمير مكة تقطف لك أبياتا منها .

انحط قدر الحادثات وهمتى   من دونها المريخ والجوزاء
هيهات نهضم جانبى وعزائمى   مثل البواتر دأبها الامضاء
صبرا على كيد الزمان فانما   يبدو الصباح وتنجلى الظلمات
أنا والمعالى عاشقان وطالما   وعد الحبيب نخانه الرقباء

وقفة قصيرة بين المرحلتين بين الماضى والمستقبل لنلقى اشراقة مطمئنة على الاولى وتهيأ لاستقبال الاخرى فقد يعز علينا ألا نجد شيئا فيما مضى تكون به مصر شاعرة؛ لقد تلمسنا الشعر قبيل العصر ، فلم نجد شيئا فيما مضى تكون به مصر شاعرة وتلمسناه فى صدر العصر فلم نجد إلا صورة منعكسة لاتحمل شعورا ولا تنطوى على حسن .

لنودع إذن تلك المرحلة إلى حيث لارجعة لها وإلى حيث لا نأسف عليها ، ولنودع معها ثلاث ظواهر لازمة لها . التقليد النازل ، والصنعة الكزة ، والبديع المملول ، ثم لنستقبل معها التقليد الصالح والصنعة العربية الحرة والإبداع لا البديع .

نتحدث عنها فى هبة غالية منحها امام الشعر الحديث واستعاد بها نفوذه القديم واسترد بها تاجه الذى كان قد نزع عنه فى عصور الانحلال .

لم تكن هذه الهبة من يد اسماعيل ولكنها جاءت على عصره ولم تكن أثر النهضة ولكنها كانت عاملا حيا على رفعتها واحيائها وتدعيم بنائها .
نحدثك عن هذه الهبة فى شخص العبقرى الفذ زعيم النهضة الشعرية محمود سامى البارودى .

سيرته : —

نشأ البارودى فى بيت مجد مؤثل ، وهو ابن حسن بك حسنى من أمراء المدفعية ودنقلة فى عهد محمد على ، وجده لابيه عبد الله الجركسى . والبارودى نسبه إلى ايتاى البارود بمديرية البحيرة وكان أحد أجداده ملتزما لها وينتهى نسبه إلى الملك الاشرف سيرباى الاتابكى من المماليك الذين حكموا مصر فيما مضى .

ولد البارودى بسراى باب الخلق لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٢٥٥ وفى عام ١٢٦٢ ه توفى والده بناحية دنقلة وكان عمره وقتذاك سبع سنين وهذا الحادث الاليم كان له وقعه فى نفس الشاعر وظهر أثره فى سن العشرين حيث يقول :

لا فارس اليوم يحمى الصرح بالوادى
طاح الردى بشهاب الحرب والنادى

مضى وخلفنى فى سن سابعه
لا يرهب الخصم ابراقى وارعادى

فان أك عشت فردا بين أحزانى
فما أنا اليوم فرد بين أندادى

وهذا الشعر المحكم النسج فى سن مبكرة يحملنا على التساؤل عن سر هذه القوة العارمة التى تجلت قبل الاوان فى عصر مجدب من القرائح الفياضة التى تهدر بالشعر الجيد . أهى فى تربيته القومية أم هى فى طبعه واستعداده ؟

التكوين الادبى :

تلقى البارودى درسه فى البيت أولا والمدرسة الحربية ثانيا وهـذا النوع من التعليم ما كان ليهيىء هذه الزعامة الشعرية وقلنا فى فصله سابقة أن شعر العصر الذى ولد فيه البارودى كان فيه كثير من الاحتفال بالبديع وعجز عن التحليق فى سماء الخيال ، فلم يكن العصر مما يساعد على وجود مثل العبقرى الفذ وقد ساعد على ذلك .

أولا : الطبيعة الشعرية التى وهبها من الله سبحانه وتعالى ، فهو لم ينظم الشعر لأنه تعلم العروض ، كان لازما عليه كما كان ينظم غيره من الشعراء السابقين ، وإنما تعلق به عن هوى وسليقة « ولا بد لابن الايك أن يترنما » ، سألت أوزانه على لسانه فتهدى إلى ما عنده من ملكة شعرية ، وقدره لغوية وهو يقول : « أن خطرات الشعر صحبتنى فى أيامى كلها ولم تفارقنى إلا فى أقلها » .

ويتحدث عن هذه الخطرات أحمد أمين فيسميها أوقات التجلى .

ثانيا : الدراسة الأدبية التى أمعن فيها وتفرغ لها وعدم سلوك الطريق التى كان يسلكها غيره من الاقتصار على دراسة النحو والصرف كما حدث بذلك المرصفى فى الوسيلة الأدبيه « محمود سامى البارودى لم يقرأ كتابا فى فن من فنون العربية غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع لبعض من له دراية وهو يقرأ دوواين الشعراء ، أو يقرأ وهو بحضرته حتى تصوره فى برهـة يسيرة هيأت التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ثم استقل بقراءه دوواين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها » .

وقد نعد فى حديث المرصفى عن تلميذه شيئاً من المبالغة ، ولكننا لا ننكر أن تلميذه عصامى ، وهبه قرأ النحو والعروض والبيان فماذا يفيده ؟ أن شعراء عصره يعرفون ذلك فماذا أفادوه ؟ ليست الشاعرية وقفاً على قواعد النحو والصرف ومعرفة العروض والقافية واصطلاحات البلاغيين وإنما هى وقف على طبع موهوب يستمد من بيئته عوامل شاعريته فإذا لم يجد فيها الغذاء الكافى تجاوزها إلى غيرها وكذلك فعل البارودى فلما لم يجد مدداً من حياته ولا مسعداً من عصره أبى طبعه الملح وقريحته إلا أن ينزع إلى حياة آخرى يتسلفها الخيال ويتقاضاها الإمداد أخبرنا بذلك المرصفى حين حدثنا عن دواوين الشعراء التى تعشقها وكلف بحفظها ثم باستثبات معانيها ونقد شريفها من سفافها .

كانت إذا قراءة كتب الأدب والتاريخ وحفظ الشعر الجيد المنتقى هى عماد ثقافته الأدبية على أن البارودى قد أطلع على آداب أخرى غير الآداب العربية فقد تعلم الفارسية والتركية فى أثناء توظفه بوزارة الخارجية فى الإستانة يضاف إلى هذا ماروى من أنه تعلم الإنجليزية وهو فى منفاه ، وترجم بعض آثارها ، وهذه اللغات المتعددة لها أثر ولاريب فى معانيه وأخيلته وتصويره للحوادث .

هذا وقد حفل عصر البارودى بأحداث عظام فمن نهضة شاملة وخلق لأمة متمدينة إلى ثورات وفتن وحروب ومعارك . ونفى وتشريد ، وقد سافر البارودى إلى الإستانة مراراً وشهد حرب — كريت — بروسيا — ورأى عالما لم يعرفه من قبل ومناظر جديدة فتأثر بكل هذا وأنفعلت نفسه له وصاحب هذه الأحداث بشاعريته فانطلق يردد خواطره وأحاسيسه فكان هذا الشعر الخالد .

أنظر فى الأدب الحديث : عمر الدسوقى — حـ ١ ص ١٥٦

ثالثاً : الوراثة الشاعرية قريبة كانت أم بعيدة وقد سجلها الشاعر في شعره :

أنا في الشعر عريق
لم أرثه عن كلالة
كان إبراهيم خالي
فيه مشهور المقالة
وسما جدي على
يطلب النجم فناله

لانظن أن خال البارودي كان شاعراً ممتازاً عن أهل عصره ، ولكن لعل البارودي وجد فيه مشجعاً على قول الشعر كما وجد في جده المعالي التي يفخر بها .

وقد يكون الباعث له كلمة من أستاذ أو قصيدة حفظها واستطاب توقيعها وأنشادها أو مناسبة سمع فيها ماأذكى طبعه .

ولكننا على ما نجهل من حقيقة هذا الباعث نستطيع أن نعلم أن الدافع بالشعر لم يكن غريباً عن طالب المدرسة الحربية في ذلك الزمن كما تبدو عليه الغرابة في الأمم الأوربية إذ كانت الفروسية قرينة للشعراء في غرف الخاصة والعامة .

وماأصدق المتنبي إذ يقول :

فإذا هما أجتمعا لنفس حرة
بلغت من العلياء كل مكان

فأراد البارودى أن يجمع بين الفضيلتين أو لبس الشعر قد خلد قبله أسم عنترة ، وأبى فراس من أشهر الأسماء بين الفرسان الشعراء .

أجل غنى البارودى بالشعر كما يغنى الطائر من غير صنعة ولا تكلف وحركت الأغراض فؤاده فى فجر حياته فأطربنا بنغماته الحلوة حتى جاء آخر العمر وقد أظلمت الدنيا فى عينيه بعد فقد الشباب وفقد الأهل والديار وضرب الأسى على جميع أوتار حياته .

شعر البارودى

أننى حين أعرض شعر البارودى لاستبين مزاياه لا أتناوله من ناحية أغراضه من فخر ومدح ورثاء ووصف لأن تلك الدراسة لا تظهر فيهـا شخصية البارودى وسر نبوغه بل مظهر التفوق فى كل شاعر عظيم هو أن تستطيع التعرف عليه من خلال شعره .

وعلى هذا النحو أخذ البارودى يرسل أنغامه النارية الملتهبة يعبر بهـا فى صدق عن مكنونه نفسه تارة بفخر وتارة يشكو الهوى وتباريج الغرام وعينه على الطبيعة من حوله وقلبه معلق بمجالس الإنس واللهو ، وفى ثنايا ذلك ينشر من حين إلى حين بعض الحـكم(١) .

وسرعان ما أخذ فى وصف الحروب ونراه يقتحم بشعره معركة أمته السياسية ، شاعراً بأمجادها التاريخية .

وكان ذلك تحولا بعيد المدى فى أشعاره إذ أخذ يبث فيها شكوى مريرة من بعض معاصريه الذين أختلط بهم، ممن كانوا يعيشون على مداهنة الحاكم وعلى الوقيعة الخسيسة وأبت الحوادث إلا أن تزيد هذه الشكوى مرارة على مرارة ثم كانت كارثة المنفى وانتزاعه من أحضان وطنـه وأحضان زوجته الشابة وبناته الصغيرات ، فأعول بالحنــين الذى تتحرق به أحشاؤه .

ومن ثم وجدنا البارودى يقول :

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وإن غدوت كريم العم والخال

---

(١) البارودى — رائد الشعر الحديث — د . شوقى ضيف ص ١٠٢

ولى من الشعر آيات مفصلة
تلوح فى وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته
ويهتدى بسناها كل قوال
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه فقولى خط تمثالى
أن ابن آدم لولا عقله شبح
مركب من عظام ذات أوصال

ولما كان شعر البارودى مرتبطاً أشد الإرتباط بحياته وأحداث عصريه ، تلك الحياة التى كانت مليئة بالأحداث الجسام فإنى أسوق الكلام عن شعره لا بحسب أغراضه بل وفق صدور ذلك الشعر عنه خلال حياته .

وبوسعنا أن نميز أربع فترات فى حياة البارودى .

الأولى : البارودى من مولده حتى الثورة العرابية .

الثانية : البارودى فى أثناء الثورة العرابية .

الثالثة : البارودى فى منفاه .

الرابعه : البارودى بعد عودة من المنفى .

فى الفترة الأولى يطالعنا أول نص أدبى متميز لذلك الشاعر فى فجر شبابه ذلك النص هو رثاؤه لوالده وسبق لنا حديث عنه ، وفى سنة ١٨٦٥م كانت جزيرة كريت قد شقت عصا الطاعه على الدوله العثمانية فأسهمت مصر إذ ذاك فى إخماد تلك الثورة بفرقة من الجيش كان من أفرادها البارودى وهذا أول شعر له خارج مصر وقد قال فى ذلك قصيدة رائعة وصف فيها الحرب جاء فيها :

أخذ الكرى بمعاقد الإجفان
وهنا السرى بأعنة الفرسان

والليل منشور الذوائب ضارب
فوق المتــالع والربى بجران

وهنا تصادف خاصية من أبرز خصائص شعر البارودى ألا وهى التغنى بحب مصر والفخر بها فيمضى البارودى واصفاً ماتعانيه نفسه من حنين إلى مسقط رأسه فيقول :

والنفس لاهية وأن هى صادفت
خلفاً بأول صاحب ومكان

فى هذه القصيدة نجد البارودى فى وصف الحرب وحنينه إلى الوطن فأبدع فى الوصف ، وعبر فأجاد فى التعبير كأنه لم يكن ابن عصره وفى سنة ١٨٧٧ ذهب مع الجيش الذى أرسله والى مصر لمساعدة الدولة العثمانية حينما أعلنت روسيا عليها الحرب ومما قاله البارودى فى تلك الحروب :

إذا نحن سرنا صرح الشر باسمه
وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وهكذا يحلق البارودى فى سماء الوصف حتى لتحس بالمعركة الحربية الإحساس المشترك الفعلى فيها ، ولا تعجب إذا عددنا جديداً عند البارودى وأن كان قديماً منذ أن كان الشعر العربى وما من شاعر إلا وله فى الوصف أبيات ولكن الجديد فى وصف البارودى أنه أفرد له قصائد بعينها ولم يأت به عرضاً فى ثنايا القصائد كان يصف لمجرد الوصف ولأن شاعريته وحواسه المرهفة وتذوقه للجمال كانت تدفعه إلى قول الشعر وإلى وصف مشاهداته لا كما هى فى الطبيعه ولكن يخرجها ملونه بشخصيته وشـــعوره وأفكاره .

وإذا أردت أن تعرف متى يحلق البارودى فى الوصف فاقرأ أوصافه فى الأشخاص إنه لا يقل عن أمهر مصور بل أين منه المصور ؟ وهو لا يستطيع أن يبرز على لوحته دخائل النفوس وأسرار القلوب والحركات والإشارات .

وفى هذه الفترة تأثر البارودى بشعر الفحول فى عصور أزدهار اللغة والأدب وعارضهم فما قصر عنهم وأثبت أنه كان رائداً لعصر أدبى جديد لقد جارى البارودى من سبقه من فحول الشعراء ، عارض النابغة الذبيانى من أصحاب المعلقات فى العصر الجاهلى فى قصيدته التى يصف فيها زوجة النعمان والتى مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتد
عجلان ذا زاد وغير مزود

فأنشد البارودى على نفس الوزن والروى قصيدة سلك فيها مسالك الشعراء الجاهليين فى مباشرة الحروب وركوب الخيل وشرب الخمر ومغازلة النساء جاء فيها :

ظن الظنون فبات غير موسد
حيران يكلأ مستنير الفرقد

وجارى أبا فراس الحمدانى فى قصيدته التى مطلعها :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

فقال البارودى فى نفس الوزن والروى :

طربت وعاودتنى المخيله والسكر
وأصبحت لايلوى بشيمتى الزجر

فى هذه القصيدة أفصح البارودى عن حبه المكنون وشوقه الدفين ثم كأنى به يود أن يطنب فيما يتعلق بما فعله الحب به وفيما خلفه هجر الحبيب ولكن طبعه العسكرى غلب عليه حتى لا يضعف نفسه فى سبيل حبه فانتقل من الحديث عنه إلى الفخر بنفسه وقومه فقال فى نفس القصيدة :

وإنى امرؤ لولا العوائق أذعنت
اسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم
لها فى حواشى **كل** داجية فجر
إذا استل منهم سيد غرب سيفه
تفزعت الأفلاك والتفت الدهر

ومهما كان من الأمر فأنى أعتقد أن البارودى كانت فى نفسه مغالبة بين عاطفتى الحب والإباء فتغلب الاباء وجمع به ولقد كان الاباء عاملا كبيرا فى حياته وفى شعره دفعه فى الحياة إلى سلوك الطريق الوعر المملوء شوكا ليقطف العز من خلاله ويبلغ به أبعد غاية ثم إلى التجلد والصبر عند الشدائد ودفعه فى شعره إلى الفخر وترك المديح لأنه رجل ذو مطامح طموح إلى العلياء وكأنما نطق الكاظمى بلسانه حين يقول :

ماسلونا آرام نجد ولكن شغلتنا العلا عن الآرام

وإذا أمعنا النظر فى مصادر هذا الإباء وجدناها ممثلة أولا فى أصل البارودى وحسبه ، ثانيا النعرة العربية التى ورثها الشاعر عن العرب الذين درس شعرهم وأصبح يجاريهم .

ثالثا كبرياء حامل السيف . سيما أن البارودى كان جنديا كبيرا .

ولقد جارى أيضا الشريف الرضى فى قصيدته التى مطلعها :

لغير العلا منى القـــلا والتجنب
ولولا العلا ما كنت فى الحرب أرغب

فقال البارودى قصيدته التى مطلعها :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب

والتى جاء فيها تلك الحكمة الغالية :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب
إذ أنا لم أعط المكارم حقها فلا عزنى خال ولا ضمنى أب

ومن خير معارضاته قصيدته الطويلة بل ملحمته التى سماها : (كشف الغمة فى مدح الأمة ومطلعها :

يارائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام إلى حى بذى سلم

فقد عارض بها البوصيرى فى مديح الرسول ﷺ .

هذه صورة من معارضة البارودى للقدامى بيد أن المعارضة على هذا هى أعمق من البداوة أو هى محاكاة مطبوعة ليس فيها من التقليد إلا الرغبة فيه وكأنما البارودى هنا ممثل قدير لبس دور الشاعر البدوى فوفاه لغــة وشعورا وزيا وحركة فخلقه خلقا جديداً وجعل له تمثالا من نفسه وحياته وأصبح مبتكرا فى الدور الذى أخذه كما يبتكر الممثل فى انتحال أدواره وابطاله فهو فنان خالق فى أتباعه كما يكون الفنان خالقا فى ابداعه .

ترنم البارودى فى ربيع حياته بهاته المعارضه أيام أن كانت الدنيا مقبلة عليه وكان هو متمتعا برغدمن العيس ولـكن سرعان ماتتغير الأحوال ذلك لأنه فى آخر حكم اسماعيل باشا هبت على مصر بعض الأنواء ترنحت لها سفينة الحياة فيها ثم كانت عاصفة هوجاء أيام توفيق بسبب فسادالحكم

فضلت السفينة الطريق وقد أنشد البارودى قصيدة رائعة يصور فيها فساد الحكم فى عهد اسماعيل ويحرض الناس على طلب العدل جاء فيها :

قامت به من رجال السوء طائفة

أو هى على النفس من بؤس على شكل

وتعد هذه أول قصيدة قيلت فى السياسة فى العصر الحديث وعلى منوالها نسج من جاء بعد البارودى وهى صرخة عاتيه فى وجه الظلم وحث على العمل من أجل انقاذ الوطن .

وإيذان بترك صفاء العيش والاقبال على حياة قلق ونضال وبذلك تبدأ الفترة الثانية من حياة البارودى .

ثانياً : البارودى فى الثورة العرابية :

وقف البارودى على أطلال الشباب يودع الطور الأول من حياته ليبدأ عصراً فى الأفكار والقصيد . سنجد حديث السياسة فى غير خدع ولا مواربة بل سنجد روحا شفافة مليئة بالحزم واسعمه يهنىء الخديوى توفيق :

أمران ماإجتمعا لقائد أمة إلا جنى بهما ثمار السؤدد

جمع يكون الأمر فيما بينهم شورى وجند للعدو بمرصد

وقد جمع البارودى فى بيته الثائر روح الثورة العرابية ولكن هل كان البارودى فى بيته ثائراً بالمعنى الذى يفهمه الناس للعصيان والتمرد ؟ وهل ساهم البارودى فى ثورة العرابيين رغبة منه فى أعمال العنف ؟

لا بل كان البارودى زعيم المعتدلين يعمل فى جو هادىء فلما حدثت

الثورة ذهب الى مزارعه يملأ قلبه الأمى كان يريد انقلابا يستريح به لا ثورة تضطرب لها البلاد من أقصاها إلى أدناها وفى هذا يقول :

كنا نود انقلابا نستريح له   حتى إذا تم سادتنا مصائره

هذه القصيدة تصور لنا حالة مصر فى تلك الفتره أتم تصوير وفيها ينصح البارودى بتجنب ويلات الحرب وإن كان يعلم أنه لا أمل فى ذلك لأن انجلترا وفرنسا عدوتا الإنسانية تريدان ذلك وهما اللتان دفعتا مصر دفعا إلى تلك الحرب دفاعا عن النفس . صدقت نبوءة البارودى ووصل أسطول البغى إلى شواطىء الاسكندرية ولما جد الجد انسحبت فرنسا وانفردت انجلترا فى عدوانها على مصر فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانتهى ذلك العدوان باحتلال مصر بعد أن دافع عنها أبناؤها دفاع الأبطال .

كان الشعر السياسى من الأغراض القديمة التى خلع عليها البارودى لباس الجدة وظهرت فيها شخصيته واضحة تفصح عن النفس الأبية المتمردة على الظلم والطغيان المحبة للعدالة والشورى والمساواة بين الناس .

ذلك الشعر الذى دفعه إلى مركز الصدارة بين أبناء شعبه وجعل منه زعيما محبوبا الذى ألقى به فى غياهب السجن ورمى به بعيدا عن وطنه ويا ليته كف عن مثل هـــذا الشعر وهو يتجرع غصص النفى والتشريد والمرض بل زفر زفرات حارة كادت تحرق المعتدين بشواظها الملتهبة ولذلك طالت غيبته عن دياره وخاف أول الأمر من عودته حتى لا يعيدها مشبوبة الضرام .

ثالثا : البارودى فى المنفى :

فى الثامن والعشرين من ديسمبر أقلعت سفن المحتلين من شواطىء مصر تحمل البارودى وزملاءه إلى منفاهم فى سيلان فوصلت ميناءها كولومبو فى ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ وقد وصف البارودى رحيله عن وطنه بقصيدة تفيض لوعة وأسى جاء منها :

محا البين ما أبقت عيون المها منى
فشبت ولم أقض اللبانه من سنى

عناء وبأس واشتياق وغربـــة
ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن

فإن آك فارقت الديار فلى بهـا
فؤاد أضلته عيون المها منى

وفى المنفى أخذ شاعرنا يرسل القصائد الحسان التى أحيت عصور الأدب المشرقة ومما قاله فى منفاه عندما بلغه نبأ موت زوجته سنة ١٨٨٥م :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى تقوى على رد الحبيب الغادى

يا دهر فـــيم فجعتنى بحليلة كانت خلاصة عدتى وعتادى

ولما بلغه أن بعض ذوى المطامع الدنيئة يتعاونون مع الغاصب ندد بهم فى قصيده جاء فيها :

وما أنا بالمغلوب دون مرامه ولكنه قد يخذل المرء جهده

أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه
ويملك أعناق المطالب وغـــده

وفى عام ١٨٩٠ غادر زملاءه ورحل إلى مدينة كندى بنفس الجزيرة

سيلان : وكانت المدينة على جانب كبير من الجمال الطبيعى فأثر جمالها فى نفس البارودى وهيج فى قلبه حنينه إلى أحبابه من أبناء وطنه فأنشد قصائده الخالدة منها :

ردوا على الصبا من عصرى الخالى
وهل يعود سواد اللمة البالى

لم يدر من بات مسرورا بلذته أنى بنار الأسى من هجره صالى

يا غاضبين علينا هل إلى عدة بالوصل يوما أناغى فيه اقبالى

غبتم فأظلم يومى بعد فرقتكم وساء صنيع الليالى بعد إجمالى

الواقع أنه برغم ما سقت لك من نماذج سما بها صاحبنا إلى ذروة المجيدين من الشعراء المتقدمين فإن شعر الشكوى والحزن هو أقرب قصيد شاعرنا إلى القلب وأحبه إلى النفس وقد نظمه البارودى كله وهو بعيد عن مصر وأكثر فيه من ذكرها والحنين إليها والاشادة بذكرها وأى ألم أشد من ألم صاحبنا فى بيت نأخذه من القصيدة التى ودع بها مصر :

أهبت بصبرى أن يعود فعزنى
وناديت حلمى أن يثوب فلم يغن

والواقع أن التبرم والتوجع هو الشعور الذى كان يسود روح صاحبنا فى منفاه وفى هذه الفترة أكثر الشاعر من ذكر أيام الشباب وأيام النضرة وتحدث عن ذكريات هامة وكانت هذه الذكريات تملأ عضل الرجل وقلبه حتى أنه كان يصيح :

أعد يا دهر أيام الشباب وأين من الصبى درك الطلاب

على أن صاحبنا لم يتبرم بالحياة ، ولم ينقم على الاحياء وتبرمه شىء آخر غير تبرم شاعر كأبى العلاء . وإن كان البارودى أيضا قد عاش أياما

طويلة رهن المحبسين محبس المنفى ومحبس العمى بعد أن كف بصره إلا أنه كان مؤمنا فيعود به إيمانه إلى الصبر وتقبل الواقع وحكمه والأمل يملأ قلبه فى تبدل الأحوال .

ولن نجد فى حزن البارودى عنفا فقد يتحدث عن الدمع الذى سيلازمه بينما سواه يدك الجبال ويكشف ويخسف القمر وكأنها قد شاركته حزنه . وأغلب شعر المنفى فى الشكوى والحنين إلى الوطن .

البارودى بعد المنفى :

قضى البارودى فى منفاه سبعة عشر عاما ساءت فيها صحته ووهنت قواه ثم سمح له بالعودة إلى وطنه سنة ١٩٠٠ فلما أطل عليه بعد الغياب الطويل قال :

أبا بل رأى العين أم هذه مصر
فإنى أرى فيها عيونا هى السحر

نواعس أيقظن الهوى بلواحظ
تدين لها بالفتكة البيض والسمر

وعندما مر بقصر الجزيرة تذكر أيام إسماعيل فأنشد :

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع
هيهات قد ذهب المتبوع والتبع

وبعد فقد أذنت شمس حياة الشاعر بالمغيب ، فانتقل إلى جوار ربه فى ديسمبر سنة ١٩٠١ فبكته مصر عن بكرة أبيها ولئن كان البارودى

قد مات فإن ذكراه ستظل حية عطرة على مدى الأيام وبذلك ختمت صحيفة زعيم النهضة الشعرية فى العصر الحديث وهو الذى أنار الطريق لمن أتى بعده من الشعراء كأحمد شوقى وحافظ ومطران وغيرهم بشعر :

رقيق كما غنت حمامة أيكة ... وجزل كما شق الهواء عقاب

د/ عبد المنعم محمد يوسف

* * *

مقياس ابن طباطبا فى الحكم على التشبيه
وأثره فى الدراسات البلاغية

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت

تقديم :

تعتبر دراسة « ابن طباطبا » للتشبيه أهم الموضوعات البلاغية التى تناولها بالبحث والتحليل فى كتابه « عيار الشعر » ، بل تعد أهم دراسة وصلتنا فى هذا الموضوع ، منذ أن بدأ العلماء الحديث عنه حتى ابن طباطبا .

ودراسة « ابن طباطبا » للتشبيه تشمل جانبين :

جانب نظرى : تناول فيه طريقة العرب فى للتشبيه ، والمادة التى يستخدمونها فى تشبيهاتهم .

وجانب فنى : تناول فيه ضروب التشبيهات ، وأدواة التشبيه ، ومقياس الحكم عليه وخصائص التشبيه عند العرب .

وغرضنا فى هذا البحث ينصب على دراسة مقياس ابن طباطبا فى الحكم على التشبيه ، من حيث الحسن والقبح ، باعتباره من اللمحات الجديدة فى دراسته للتشبيه .

(*) أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا العلوى الأصفهانى المتوفى سنة ٣٢٢هـ .

مقياس الحسن :

يمكننا أن نقول : إن حسن التشبيه فى نظر ابن طباطبا يرجع إلى توفر عنصر الصدق فيه ، ويتأتى صدق التشبيه بوجود معان مشتركة ، وصفات متماثلة بين طرفى التشبيه .

فللتشابه جهات كثيرة ، منها : الصورة والهيئة ، والمعنى ، والحركة ، واللون ، وغيرها ، وكلما زاد عدد الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به قويت المشابهة بينهما وتأكد صدق التشبيه فكان تشبيها حسنا ، وكلما قل عدد الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به ضعف التشبيه ونقصت درجة حسنه .

وفى هذا يقول ابن طباطبا : « والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها تشبيه الشىء بالشىء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطءا وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض ، فإذا اتفق فى الشىء المشبه بالشىء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به ، للشواهد الكثيرة المؤيدة له .

فابن طباطبا فى هذا النص يرجع حسن التشبيه إلى قوته وصدقه بكثرة المعانى المشتركة بين طرفيه ، لأنها شواهد تؤيد دعوى المشابهة .

ولذا نراه يؤكد على التزام الصدق فى التشبيه فى مواضع متعددة من كتابه ، فيقول : « فعلى الشاعر اجتناب ما يشينه من سفساف الكلام ، وسخيف اللفظ ، والمعانى المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة .. . ويتعمد الصدق والوفق فى تشبيهاته وحكاياته . . . » ومتى

تضمن الشعر صفات صادقة ، وتشبيهات موافقة ، وأمثالا مطابقة ، تصاب حقائقها ، ارتاحت إليه النفس ، وقبله الفهم (٤) .

وتأكيد ابن طباطبا فى هذه النصوص على التزام الصدق فى التشبيه ، يؤيد ما قلناه من أن حسن التشبيه عنده يعود إلى صدقه .

مثال للتشبيه الصادق :

ويوضح ابن طباطبا نظرته بمثال للتشبيه الصادق ، فيقول :

فمن التشبيه الصادق قول امرئ القيس .

نظرت إليها والنجوم كأنها
مصابيح رهبان تشب لقفال

فشبه النجوم بمصابيح رهبان ، لفرط ضيائها ، وتعهد الرهبان لمصابيحهم ، وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل ، وتتضاءل للصباح ، كتضاؤل المصابيح له ، وقال تشب لقفال لأن أحياء العرب كالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التى تأوى إليها ، من مصيف إلى مشتى ، ومن مشتى إلى مربع ، أوقدت نيرانا على قدر كثرة منازلها وقلتها ، ليهتدوا بها ، فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها فى مكان بعد مكان على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم (٥) .

فهذا المثال الذى حلله تحليلا دقيقا تشبيه صادق ، لوجود عدد من المعانى المشتركة بين طرفيه ، حيث تشابها فى الهيئة والصورة والضوء والهداية ، وهذا مما قوى التشبيه ، وضاعف من حسنه .

أحسن التشبيهات :

وإذا كثرت الفصات المشتركة بين طرفى التشبيه وقوى الشبه بينهما ، صح العكس بين المشبه والمشبه به ، بوضع كل منهما مكان الآخر ، فيجعل تارة مشبها ، وأخرى مشبها به من غير أن يؤثر ذلك فى صحة التشبيه ، ونكون بهذا قد وقفنا على أحسن التشبيهات فى رأى ابن طباطبا .

ففى هذا يقول : « فإذا تأملت أشعار العرب ، وفتشت جميع تشبيهاتها ، وجدتها على ضروب مختلفة ، تتدرج أنواعها ، فبعضها أحسن من بعض ، وبعضها ألطف من بعض ، فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبة مثله مشتبها به صورة ومعنى (٦) .

فأحسن التشبيهات عند « ابن طباطبا » ما صح عكس طرفيه لقوة الشبه بينهما ، فيقال : نجوم كالمصابيح ، ومصابيح كالنجوم ، ووجه كالبدر ، وبدر كالوجه ... وهكذا .

وصحة العكس بين طرفى التشبيه نتيجة مترتبة على صدق التشبيه ، حيث لا يصح العكس بين الطرفين إلا إذا كان كل منهما شديد الشبه بالآخر ، لتعدد الصفات المشتركة بينهما .

اختلاف الجنس لا يتعارض مع صدق التشبيه :

وإذا كان ابن طباطبا قد أكد على صدق التشبيه ، وجعل أحسن التشبيهات ما صح عكس طرفيه لقوة الشبه بينهما ، فإنه لا يريد بذلك اتحاد الجنس ، وتماثل الحقائق ، فإن ذلك يؤدى إلى تشبيه الشىء بنفسه ، وإنما يقصد إلى أن يتشابه الطرفان تشابها قويا فى المعنى الذى يقع فيه التشبيه من غير نظر إلى الحقائق والأجناس .

والأمثلة التى ضربها للتشبيهات الحسنة تؤيد ما قلناه .

فتشبيه القلوب الرطبة واليابسة بالعناب والحشف البالى فى قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

تشبيه صادق مع البعد الشاسع بين حقيقة طرفيه .

وتشبيه طرف قرن الظبى بالقلم الذى أصابه المداد فى قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها

من أجود التشبيهات ، وشتان بين حقيقة كل من طرفيه .

وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فى قول جناده بن جزى :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

تشبيه حسن ، جمع الصورة واللون والحركة والهيئة ، وحقيقة كل من طرفيه مختلفة . وهكذا كافة ما استشهد به من تشبيهات (٧) .

وإذا كان البعد بين حقيقة الطرفين لا يتنافى مع صدق التشبيه ، فإنه أيضا لا يؤثر فى صحة العكس بينهما ، لأن صحة العكس مترتبة على صدق التشبيه كما بينا .

وعلى هذا فتأكيد ابن طباطبا ، على صدق التشبيه لا يعنى اتحاد الحقائق ، كما أن اختلاف الحقائق لا يتعارض مع صدق التشبيه ، ولا يؤثر فى صحة العكس بين طرفيه ، فالعبرة فى صحة التشبيه بوجود المعنى المشترك الذى يجمع بين طرفيه .

سبب قبح التشبيه :

مما سبق رأينا أن ابن طباطبا يعتبر التشبيه الصادق هو التشبيه الحسن ، وبناء عليه يكون التشبيه الذى فقد عنصر الصدق تشبيها معيبا .

ولم يصرح ابن طباطبا بذلك ، ولكن التشبيهات التى حكم بقبحها تنطق بما قلنا . فهى إما فيها غلو أخرجها عن حد المبالغة المقبولة ، كما فى قول خفاف بن ندبة :

أبقى لها التعداء من عتداتها   ومتونها كخيوطة الكتان

قال ابن طباطبا : العتدات : القوائم ، أراد أن قوائمها دقت حتى عادت كأنها الخيوط ، وأراد ضلوعها ، فقال : متونها (٨) .

فهذا التشبيه معيب لخروجه عن الحد المعتاد فى الوصف ، فكان تشبيها غير صادق ، ولذلك قال أبو هلال بعد بيانه : وهذا بعيد جدا (٩) .

وهى إما خارجة عن الصدق لعدم وجود مشابهة بين الطرفين ، كما فى قوله النابغة الجعدى :

كأن حجاج مقلتها قليب   من السمقين أخلق مستقاها

قال ابن طباطبا : والحجاج لا يغور ، لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب (١٠) .

فالتشبيه معيب لأن الشاعر شبه الحجاج بالقليب ، وهذا خطأ ، لأن الحجاج لا يغور ، وإنما تغور العين (١١) .

وكما فى قول ساعده بن جؤية :

كساها رطيب العيش فاعتدلت لها

قداح كأعناق الظباء الفوارق

قال ابن طباطبا : شبه السهام بأعناق الظباء ، ولو وصفها بالدقة كان أولى » (١٢) .

فالتشبيه معيب لخروجه عن الصدق ، إذ ليس بين طرفيه شبه . (١٣).

فمن النظر فى التشبيهات السابقة ، والتأمل فى حكم ابن طباطبا عليها ، يثبت ماقلناه من أنه يحكم على التشبيه بأنه معيب إذا فقد عنصر الصدق .

أثر نظرة ابن طباطبا فى الدراسات البلاغية :

كان لنظرة ابن طباطبا فى الحكم على التشبيه بالحسن إذا كان صادقا وصح العكس بين طرفيه أثر كبير فى دراسات البلاغيين من بعده، إذ أخذ كثير منهم هذه الفكرة كما سنرى فيما يلى :

قدامة ابن جعفر :

يرى قدامة أن حسن التشبيه يرجع إلى كثرة المعانى المشتركة بين طرفيه ، فيقول : « أحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد » (١٤) .

وبهذا يلتقى مع ابن طباطبا فى نظرته :

الإمام عبد القاهر :

تأثر بفكرة العكس التى أثارها ابن طباطبا ، ودرس على أساسها نوعا من التشبيه سماه جعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وفى هذا يقول : إذا استقريت التشبيهات الصريحة وجدت — هذا النوع — بكثر فيها، وذلك أنهم يشبهون الشىء فيها بالشىء فى حال ثم يعطفون على الثانى فيشبهونه بالأول فترى الشىء مشبهاً مرة ومشبهاً به أخرى ، فمن أظهر ذلك أنك تقول فى النجوم كأنها مصابيح ثم تقول فى حالة أخرى فى المصابيح كأنها نجوم، ومثله فى الظهور والكثرة تشبيه الخد بالورد والورد بالخد ، وتشبيه

الروض المنور بالوشى المنمنم، ونحو ذلك ثم تشبه النقش والوشى فى الحلل بأنوار الرياض، وتشبه العيون بالنرجس ثم تشبه النرجس بالعيون ...» (١٥).

ويرى الإمام أن هـــذا الضرب يجىء فى التشبيه مجيئاً حسناً وينقاد القياس فية انقياداً لا تعسف فيه، وتصادفه لا يطاوعك فى التمثيل تلك المطاوعة، ولا يجرى فى عنان مرادك ذلك الجرى.

ومن ثم يجعل الإمام صحة عكس التشبيه من العلامات التى تميز التشبيه الصريح عن تشبيه التمثيل، إذ لا تجىء طريقة العكس فى التمثيل على حدها فى التشبيه الصريح، وأنها إذا سامكت فيه كان مبنياً على ضرب من التأويل والتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً ويبعد عنه بعداً شديداً (١٦).

رشيد الدين العمرى:

ردد فكرة العكس التى بدأها ابن طباطبا، فقال: أجمل التشبيهات وأكثرها قبولا لدى الطباع هى تلك التى إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته، وصواب التشبيه وصحته، مثل تشبيه الطرة بالليل البهيم، فإنهم إذا شبهوا الليل البهيم بالطرة كان التشبيه جميلا مقبولا. (١٧)

ابن الأثير:

تأثر بفكرة العكس، وذكر أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس، فقال: اعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس، وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبها به، ويسميه بعضهم غلبة الفروع على الأصول، ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة، ومما جاء من ذلك قول ذى الرمة:

ورمل كأرداف العذارى قطعته　　　إذا ألبسته المظلمات الحنادس

ألا ترى إلى ذى الرمة كيف جعل الأصل فرعا، والفرع أصلا، وذاك أن العادة والعرف فى هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء وهو مطرد فى بابه فعكس ذو الرمة القصة فى ذلك فشبه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء، وإنما فعل ذلك مبالغة ... (١٨).

ثم امتدح ابن الأثير هذا الضرب من التشبيه فقال: وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ (١٩)

العلوى:

وتناول يحى بن حمزه العلوى التشبيه المنعكس بالشرح، وبين موقعه فى الكلام فقال: «وله موقع عظيم فى إفادة البلاغة ...» (٢٠)

كما بين أنه لا يستعمل فى كل التشبيهات وإنما الشرط فى استعماله ألا يرد إلا فيما كان متعارفا حتى تظهر فيه صورة الانعكاس (٢١)

السكاكى ومدرسته:

وأشار السكاكى إلى هذا التشبيه مبينا أن الغرض منه يعود إلى المشبه به، وهو إيهام كونه أتم من المشبه فى وجه الشبه، ومثل له بأمثلة كثيرة. (٢٢).

وسار الخطيب القزوينى على هذا المنوال، وسماه التشبيه المقلوب (٢٣). وظل العلماء يدرسون هذا اللون من التشبيه إلى يومنا هذا.

ومن هذا العرض الذى قدمناه يتبين لنا الأثر الكبير لفكرة ابن طباطبا فى عكس التشبيه، ومدى اهتمام العلماء بها.

وإلى اللقاء مع فكرة أخرى من أفكاره البلاغية فى العدد القادم بإذن الله.

د. الشحات أبو ستيت

المراجع

١ — ينظر ابن طباطبا ومباحثه البلاغية والنقدية : ٩٢—٩٣

٢ — عيار الشعر : ١٧ . ابن طباطبا .

٣ — السابق : ٦٥٤

٤ — السابق : ١٢١

٥ — السابق : ٢٣

٦ — السابق : ١١

٧ — تنظر الأمثلة المذكورة وغيرها فى عيار الشعر : ١٨—٢٠

٨ — السابق : ٨٩

٩ — الصناعتين ١٩٦ . أبو هلال .

١٠ — عيار الشعر : ٩٠

١١ — الصناعتين : ١٩٧

١٢ — عيار الشعر . ٩١

١٣ — الصناعتين : ١١٧

١٤ — نقد الشعر : ٦٥

١٥ — أسرار البلاغة : ١٦٥

١٦ — السابق : ١٨٥

١٧ — حدائق السحر ودقائق الشعر : ١٣٨

١٨ — المثل السائر : ٩٢/ ١٥٨

١٩ — السابق : ٢/١٥٩

٢٠، ٢١ — الطراز : ١/٣٠٩

٢٢ — مفتاح العلوم : ١٦٣

٢٣ — بغية الإيضاح : ٣/٤٣

لحن العيد الألفى

ألقيت هذه القصيدة فى قاعه مركز النيل للإعلام بدمنهور عقب محاضرة قيمة ألقاها الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى الأزهر .

نغم شجى ساحر الألحان ملك الفؤاد وحل بالوجدان

طربت لمسراه الكنانة وازدهت

وتراقصت فى ثوبها الفتان

فسرحت فى النشوى أسائل مهجتى

عن سر هـذا الفرح والرضوان

فأجابنى البشر الذى يعلو الربا

بلسان حال فاق كل بيان

الأزهر المعمور يحي عيده متوشحا بالعلم والإيمان

فلذا ترى أرض الكنانه قد بدت

فى موكب يهفو له القمران

* * *

يا معهداً نشر الضياء على الورى ومحا بهيم الجهل والطغيان

وطوى القرون مجللا بإبائه ورمى العدا بالخزى والخسران

فى عيدك الألفى حج لصحنكم أهل النهى والبر والإحسان

يتفكرون بألف عام قد مضت

ناضلت فيها شامخ البنيان

أفنيتها تبنى حضارة أمة خلدت قرونا قبلة الأكوان

درجت عليك المهلكات فلم تلن
والعاديات فلم تصب بهوان
فاخرت شمس الكون فى إشراقها
بمعارف أحيت بنى الإنسان
وأقمت للدين القويم علومه تحميه من بدع ومن بهتان
وحفظت للفصحى بديع جمالها ليرى العباد معالم القرآن
ووقفت فى وجه الضلالة صامداً
تزهوا بأنوار مدى الأزمان

* * *

يا كعبة تهفو القلوب لحجها لتخوض بحر العلم والإيمان
كم من عباقرة صنعت عقولهم
فأتوا لنا بدفائن الأذهان
كم من نجوم فى الورى أنجبتهم
ملكوا زمام الفكر والسلطان
إذ ما تصدوا للمنابر تلقهم سحروا القلوب بمنطق وبيان
وإذا دعى داعى الجهاد تراهم
أسد الشرى فى حومة الميدان
ماذا أعدد والمفاخرة خرجة وعطاك ملء السمع والآذان
بك مصر قد سادت وعز لواؤها
وسعى إليها طالبوا العرفان
وبفضلكم ظلت على طول المدى
مرعى العقول ومنبت الشجعان

النيل أحيا للكنانة أرضها   وهداك قد أحيا بنى الإنسان

* * *

يافتية المعمور أنتم كوكب   يهدى الحيارى شرعة الرحمن
أنتم رعاة الحق بين جحافل   ترعى الضلالة فى حمى الشيطان
هيا انهضوا لرسالة نيطت بكم   وتسابقوا العليا بغير توانى
حتى نرى شمس العروبة أشرقت
فى ظل أزهرنا عظيم الشان

شعر الدكتور
الشحات محمد عبد الرحمن
المدرس بقسم البلاغة والنقد

دور العلماء في تحرير المغرب

بقلم دكتور / أحمد الحفناوى
أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

من حق علماء المغرب أن نذكر دورهم الخالد وجهدهم العظيم فى تحرير وطنهم خاصة وأنهم قد تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل فى فترة حالكة وخطيرة من فترات تاريخه ، فترة أقترن فيها: ضعف الواقع وتخلف الحاضر بصراع المستعمر الزاحف . .

لقد تمثل جهادهم لتحقيق هدفهم فى التحرير فى معركتين :

* معركة المقاومة والكفاح ضد الإحتلال والإستعمار والإستعباد .
* ومعركة الإصلاح والتجديد .

وكافح هؤلاء العلماء فى أشد الأوقات ظلمة وظلاماً ، وأحتملوا الكثير فى سبيل هدفهم النبيل ، وأعلنوا صيحتهم المدوية عالية ، وكان من نصيب العديد منهم السجن أو النفى أو الموت . ولكنهم مضوا مؤمنين بحق هذه الأمة وبحق هذا الفكر الإسلامى الذى هو « روح اليقظة » وقوامها ومادة حياتها .

كان منهم من خاض المعارك الحربية بنفسه دفاعا عن السيادة الوطنية، ومنهم من عبأ الجيوش إلى الثغور وشن الغارات على العدو وانتزع منه ما بيده من القلاع والحصون ، ومنهم من وقف بنفسه على حراسة الثغور استعداداً لرد العدوان .

فيهم من فعل ذلك بتعاون مع السلطة القائمة أو اتفاق معها ، وفيهم من فعل ذلك ضد هذه السلطة لاتهامها بالتهاون فى القيام بأول واجب عليها ، والذى ليس لأية سلطة أى عذر أو مبرر التهاون فيـــه ، فإذا تهاونت أو أهملت فقدت مشروعيتها ووجب على الشعب العمل الإيجابى المباشر بكل الوسائل الممكنة للدفاع عن سيادته وحمايتها ، وقد تصدى بعضهم للتحريض على الدفاع عن البلاد ورد العدوان عنها واسترجاع ما أحتله العدو من أجزائها والإستعداد لذلك بكل قوة ممكنة . .

وتحولت « الدروس » ومجالس الوعظ والتذكير وخطب الجمعـــة والقصائده الشعرية والأزجال والمؤلفات والرسائل والفتاوى إلى إلهاب الحماسة والحث على البطولة والقتال ، ومن أبرز الأدوار التى قادها وقام بهـا العلماء :

١ — موقفهم من محمد بن عبد الله الذى استنجد بالبرتغاليين لينصروه على أهل المغرب لما بايعوا عمه ، فقد وقعت إثر ذلك معركة :

وادى المخازن :

وقعت هذه المعركة فى (سنة ٩٨٦هـ) حينما اتصل محمد بن عبد الله بملك البرتغال « سبستيان » وأتفق معه عـــلى أن يعينه على طرد عمه من ملك المغرب ، وأن يتنازل له مقابل ذلك عن جميع شواطىء المغرب ، فقبل ذلك ملك البرتغال،وقدم إلى المغرب ومعـــه مائة ألف من الجيوش الأوربية المنظمة ، وكان هذا الملك شجاعا ،فلما نزل فى المغرب بهذه القوة كتب إليه عبد الملك يقول : « أن سطوتك قـــد ظهرت فى خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى عدوة المسلمين ، فإن تثبت فى الساحل إلى أن تقدم

عليك فأنت شجاع ، وإن زحفت وحقرت بعض الرعية قبل أن يقابلك أميرها فأنت جبان » .

وكانت المصلحه المغربية تقتضى ألا يتقـدم البرتغاليون فى المغرب وألا يحتلوا مراكز هامة قبل المعركة الفاصلة ، لهذا نصح كبار البرتغالين ملكهم بألا يتأثر بهذه الرسالة وأن يحتل المدن والقرى ليتقوى بها ، ولكنه فضل أن يكون شجاعا فى نظر ملك المغرب خيراً له من أن ينقاد إلى رأى الخبراء الحربيين .

وإلى جانب هذا ، فقد نصحه محمد بن عبد الله قائلا : « الرأى أن تملك تطوان والعرائش والقصر وتغير عـلى أطراف البلاد » ، ولكن ملك البرتغال أبى أن يقبل ذلك لأن رسالة عبد الملك أثرت فى نفسه كثيراً.

وقد جمع « عبد الملك » جيوشه وقصد بها مدينة القصر وكتب إلى ملك البرتغال يقول : لقد أرتحلت إليك من مراكش ست عشرة رحلة ، وأنت لم ترتحل إلى واحدة .

فقيل لملك البرتغال : إنهـا مكيدة حربية ، أنه يريد أن يبعدك عن الشـاطىء ، ويقطـع عنـك خط الرجعة ، ولكنه أبى إلا أن يتقـدم إلى « عبد الملك » ليبرهن له على قوته وشجاعته .

فالتقى الجمعان « بوادى المخازن » فلما عبر « سبستيان » النهر أرسل عبد الملك ليلا أخاه أحمد ومعه أربعة آلاف من الجنود ، فهدموا القنطرة ، وكان الوادى كله أجرافا لا مشروع له إلا القنطرة ، وكان قصده بذلك إذا أنهزمت جيوش « سبستيان » لا ينجو منها أحد ، فدل هذا التدبير على أن عبد الملك كان من أعظم رجال الحرب ، يقول الأستاذ « بن عبود » نقلا عن الأفرانى : « التقت الفئتان وزحف بعضهم إلى بعض ، وأسود الجو بنقع الجياد ودخان مدافع الباورد وكثر الضرب والطعن فلما قامت الحرب

ساق توفى « عبد الملك » عند الصدمة الأولى — وكان مريضاً — وكان من قضاء الله أنه لم يطلع على وفاته أحد إلا حاجبه وأخوه المنصور بموته فكتم ذلك أيضاً . . إلى أن هبت على المسلمين ريح النصر وقتل الطاغية البرتغالى غريقاً فى الوادى ، ولم ينج من جيشه إلا النزر اليسير ، وبحث فى القتلى عن « محمد بن عبد الله » فوجد فى واد الكوس ، وذلك أنه لما رأى الهزيمة ألقى بنفسه فيه فاستخرجه الغواص ، فسلخ جلده وحشاه (تبناً) وطيف به فى مراكش وغيرها (١) . وكان هذا النصر الذى قوى من عزائم الناس ، فازدهرت الحياة .

ومما يجب ذكره فى هذا المجال ، ماقاله صاحب « دوحة الناشر » :

« حدثنى الفقيه أبو العباس أحمد الدغيورى القصرى قال عن الشيخ أبى عبد الله : أنه غزا غزوة إلى الثغور ، ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبى زكريا يحى بن بكسار قد توفيت وصلى الناس عليها وأمامهم الشيخ غازى بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن غازى الإمام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها ... فقال لهم مهلا ، ثم تقدم فأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه ، فبادر الناس إليه بالإنكار فى تكرار الصلاه على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة : صلاتكم التى صليتم عليها فاسدة لكونها بغير إمام ، فقالوا له : كيف ذلك سيدى . قال : لأن من شرط الإمام الذكورية وهى مفقودة فى صاحبكم . لأن الذى لم يتقلد سيفاً فى سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان نبينا عليه السلام ، ولم يتعبد بالسيرة النبوية ، فكيف يعد إماماً ذكراً بل إمامكم والله من جملة النساء (٢) .

كذلك من أبرز الأدوار التى قام بها العلماء :

— معارضتهم لمحمد الشيخ فى تسليم العرائش للأسبانيين (فى القرن ١١ هـ — ق ١٦ م) .

— تأييدهم للمجاهد سيدى عبد الله محمد العيـــاشى) ق ١١ هـ — ق ١٧ م) .

— مطالبتهم بتحرير بقية المناطق كسبتة ومليلة — بمناسبة تحرير العرائش (ق ١٢ هـ — ق ١٨ م) .

— دعوتهم لتأييد الجزائر تأييداً مسلحاً عند الاعتداء الفرنسى عليها (ق ١٣ هـ — ق ١٩ م) .

— مطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث بعد هزيمة ايسلى (ق ١٣ هـ — ق ١٩٠ م) .

— استنكارهم احتماء المغاربة بالدول الأجنبية (ق ١٤هـ — ق١٩م) .

— دعوتهم لتحرير جدة والدار البيضاء وغيرها مما احتله الفرنسيون والأسبان (ق ١٤ هـ — ق ٢٠ م) (٣) .

ولا يفوتنا أن نذكر ماقاله صاحب « الاستقصاء » عن موقف المغرب وعلمائه حينما وقعت الثغور فى أيدى الأجانب — وكثيراً ماكانت تقع على مر العصور — قال : لما نزل بأهل المغرب مانزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين تباروا فى جهاده وقتاله ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة القوم غيرة واحتساباً .. وكم من عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم كثيرون وأسر آخرون ، فمن استشهد سيدى عيسى بن الحسن المصباحى وأبو الحسن على بن عثمان

الشاوى وأبو الفضل فرج الأندلسى ثم المكناسى ، وأبو عبد الله محمد القصرى، ، وكل هؤلاء معدود من أولياء الله تعالى . . ومن أسر منهم ثم خلصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله ابن سامى والشيخ أبو محمد عبد الله السكوش والشيخ أحمد بن القاضى المكناسى أحد قضاة سلا — وهو صاحب جذوة الاقتباس — وأبو عبد الله محمد بن أبى الفضل التونسى نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، وقد ألف الناس كثيراً فى الحض على الجهـــاد ، والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ فى ذلك كثيراً ونظم الشعراء والأدباء فيه ونشروا (٤) .

٩ — موقفهم من الحماية الفرنسية المفروضة على البلاد ومقاومتهم لها مقاومة مسلحة أحياناً وسلمية أحياناً أخرى ، ففيها كانوا الخطباء يخطبون لاستنهاض همم المؤمنين وتحريضهم على مقاومة العدو وتحديه فتخرج الجماهير للشوارع متظاهرة محتجة لتصطدم بقوة العدو ، ويموت أفراد منها برصاصة ويساق الباقون إلى مراكز الشرطة والمحاكمة والمنافى والسجون .

العلماء قادة الحركة الوطنية :

بويع « عبد الحفيظ » أولا بمراكش تحت إشراف الشيخ ماء العينين الذى رأى — هو وغيره من الفقهاء العلماء — أن صديقه عبد العزيز قصر فى حق الدفاع عن موريتانيا — وكانت جزءاً من المغرب — ولكن الأمر لم يتم إلا بعد بيعة مدينة فاس وعلمائها ، إذ أن العلماء ورجال الفقه الإسلامى هم الذين يختارون السلطان الجديد فى اجتماع خاص يعقدونه بجامع القرويين (٥) .

ولقد كانت البيعة الحفيظية التى كتبها علماء وطنيون ممتازون ميثاقاً قومياً من الطراز الأول ، فهى تشترط على الملك الجديد :

١ — أن يبادر بطرد المحتل من الأماكن المقتطعة من الحدود المغربية .

٢ — أن تسعى فى إلغاء معاهدة الجزيرة لأنه لم يرجع للشعب فيها .

٣ — أن يعمل على إلغاء المعاهدات الأجنبية .

٤ — ألا يستشير الأجانب فى شئون الأمة .

٥ — ألا يبرم مع الأجانب عقوداً سلمية أو تجارية إلا بعد استشارة الأمة (٦) .

وهكذا يتضح موقف العلماء من الاستعماريين بوجه عام .

هذا ويجب أن نذكر بالفخر ذلك العالم الجليل الشيخ « محمد العتابى » الذى جاهد كثيراً من أجل طرد الفرنسيين من المغرب ، فنراه يغادر مراكش على أثر مشادة وقعت بين الشيخ أبى شعيب الدكالى وزير العدل إذ ذاك ، وبين بعض كبار الموظفين الفرنسيين أهان فيها الفرنسى الوزير. فتأثر لذلك الشيخ العتابى وهاجر إلى الحجاز (سنة ١٣٣٢هـ — ١٩١٣م) . ومنها إلى الأستانة (سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م) وفى محادثاته مع الخليفة « محمد رشاد » الخامس أوضح له أن فرنسا تريد إجبار المغاربة على الدخول فى حرب ضد العثمانيين . . وبفضل جهوده تلك اتخذت الخلافة العثمانية وحزب « الاتحاد والترقى » قراراً باستقلال المغرب الأقصى والعمل على إجلاء فرنسا وأسبانيا عنه والاعتراف بهذا الاستقلال حتى عن ألمانيا وتركيا وغيرها .

وكان الشيخ العتابى أحد أعضاء وفد المؤتمر الإسلامى الذى طاف بالبلاد المحايدة : السويد والدانمرك والنرويج للدعاية للقضايا الوطنية والاستقلالية التى يعمل من أجلها .. وقد ألقى الشيخ العديد من المحاضرات

فى الأندية المختلفة شارحاً قضية المغرب الأقصى وبينما تدخل فرنسا وأسبانيا فى جميع الشئون بمافيها الأوقاف الإسلامية ، وقد اهتمت الصحف الفرنسية — شأنها فى ذلك شأن الصحف العالمية — بنشاط الشيخ العتابى . مما أدى بالحكومة الفرنسية إلى أن أحالته إلى محكمة عسكرية منعته من الدخول إلى المغرب ومصادرة أملاكه .

واستطاع العتابى بجهوده المتواصلة أن يحمل الوفد الإسلامى الذى انعقد فى استوكهولم (سنة ١٣٣٦هـ — ١٩١٧م) ، على أن يقرر :

« استقلال المغرب الأقصى ورد موريتانيا إليه ومطالبة الدول المحايدة بالمساعدة على الحصول على هذا الاستقلال ... » .

وسافر العتابى إلى العديد من دول العالم وقابله الكثير من وزرائها ووعدوه ببذل العون لتحقيق مطالب المغرب .

وإلى جانب هذا كان اتصاله بقبائل المغرب الثائرة فى الجنوب مستمراً ، وكان يحثهم على الاستمرار فى المقاومة .

يقول الأستاذ علال الفاسى : « ... إن السيد العتابى أخبرنى — يقصد نفسه — أن الدولة العثمانية كانت عازمة على مساعدة الحركة الوطنية فى المغرب ، إلا أن تسليم بلغاريا ورومانيا لدول الحلفاء أضعف عزيمة العثمانيين ، فاضطر السيد العتابى للخروج من الأستانة والالتجاء لمصر التى رحبت به (٧) .

الحركة السلفية :

كانت الشاذلية قد انتشرت فى المغرب منذ عهد الموحدين فازدهرت عهود الصلاح والتصوف فى أنحائه حتى أصبح لها تأثير كبير فى حياته الاجتماعيه والسياسية ، وبمرور الزمن أصبح شيوخ التصوف أداة للدعاية السياسية وانتبه ملوك الدولة إلى الخطر ، فأخذ السلطان محمد بن عبد الله والسلطان سليمان من بعده فى مقاومة الطرق ونشر الدعوة السلفية التى تعمل على تطهير العقيدة من الخرافات وتحرير الفكر .

ولا شك فى أن المغرب مهيأ أكثر من غيره لقبول أيه حركة تدعو إلى العودة إلى الدين الصحيح والعقيدة السنية ، لذلك كانت الدعوة الوهابية لها صدى الاستحسان والقبول فى المغرب ، وارتبطت أواصر الصداقة بين مصلحى نجد ومصلحى فاس .

وكان طابع السلفيــة فى المغرب أشد تأثراً بالعروة الوثق والمنار وأفكار محمد عبده الذى كان على اتصال بنخبة من مثقفى المغرب الأقصى ، فقد وقعت بينه وبين علماء المغرب مناقشة فى مسألة التوسل بالأنبياء وأيده الشيخ المهدى الوزانى فى فتواه الترنسغالية كما جرت بينه وبين الشيخ ادريس بن عبد الهادى مراسلة فى شأن بعض الكتب السلفية التى كان محمد عبده يريد نشرها .

ولم يكن لذلك كله من أثر يذكر ، إذا قورن بما حدث بعد عودة الشيخ عبد الله السنوسى إلى المغرب عقب زيارته للحجاز ومصر ومقابلته لأقطاب الدعوة فيهما : « فقد دعا دعوته فى فارس وتجمع حوله ثلة من من الطلبة وألب عليه جماعة من العلماء ، ومن الذين تتلمذوا على الشيخ السنوسى الأستاذ الكبير محمد بن العربى العلوى ومن تلاميذه فى مصر الشيخ أحمد شاكر (٨) .

كما عاد بعد الاحتلال الشيخ الإمام « أبو شعيب الدكالى » وكان فى زيارة للمشرق أيضا . . وكانت عودته فى الوقت الذى برز فيه عالم سلفى كبير هو الشيخ محمد بن العربى العلوى . . ونشاط هذين العالمين العظيمين هو الذى نصر السلفية فى المغرب ، وجعلها تتسرب إلى القصر الملكى لتتخذ فى جلالة الملك « محمد الخامس » راعيا وأمينا (٩) .

كانت تجتمع فى فاس جماعة من الشباب حول ابن العربى كما تجتمع أخرى فى الرباط حول الشيخ الدكالى . . ولم تلبث برهة حتى أخذت الحماية تحس أن هذه الاجتماعات موجهة إلى مقاومتها : فبدأت تستدعى روادها وتهددهم بالاعتقال وألقت القبض على الأستاذ / محمد غازى الذى كان من أكبر دعاة السلفية ورجالها ، (١٠) .

ومن هنا بدأت الحركة السلفية تمتزج بالدعوة الوطنية ، فوجد الشباب المغربى فى الحركة السلفية ميدانا لبذل نشاطه وتعويد نفسه على العمل لخدمة أمته والتضحية فى سبيلها . . وسرعان ما تألفت من هؤلاء الشبان جماعات صغيرة لدراسة القضايا القائمة والعمل على تنوير الرأى العام بأصرارها .

ولما كانت مساجد فاس ملتقى الطلبة الواردين من كل جهة ، فقد كان لزاما على الحركة أن تهتم ، وأن تبعث الروح السلفية والقوميه فى نفوس روادها ، خاصة وأن قادة السلفية من كبار علمائها ، وتأسست مجلة سرية سميت (بأم البنين) كانت تصدر بانتظام فى أربعين صفحة ، ثم توزع على الجماعات السرية فى فاس والرباط ومراكش وطنجة وتطوان . . وكانت هذه الحركة الشبابية السلفية على اتصال — فى الوقت نفسه — بالمغاربة خارج البلاد الذين يتعلمون فى الشرق أو حتى فى فرنسا .

وتأسست فى باريس « جمعية شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا » « وجمعية

الثقافة العربية » وكما شارك المغاربة فى القاهرة فى تأسيس جمعية « الشبان المسلمين » و « جمعيه الهداية الاسلاميه » وتأسست داخل المغرب « جمعيه أحياء الطلبه » .

وكانت (سنه ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م) امتحان لحركة الشباب السلفى الوطنى ، إذا حاولت الإدراة الفرنسيه أن تتولى على مياه وادى فاس ، لصالح بعض الحركات الفرنسيه ، فقامت مظاهرات كبيرة فى المدينه ، ووقف الزعيم / علال الفاسى ، وكان إذا ذاك ضمن مجموعات الشباب — ووقف فى ادارة المراقبه البلدية فى المدينه وألقى خطابا سياسيا كان له أثر بالغ فى الجماهير ، « وقد وقعت عدة اجتماعات شعبيه . وانتهت هذه الحركة بظفر المدينه وسحب الإدارة الفرنسيه لمشروعها ، إذا كان علال الفاسى والحسن أبو عياد وضعا مذكرة قدماها لحاكم فاس الفرنسى يطالبان فيها بذلك (١١) .

الحركة الوطنيه :

كان لحرب الريف التى قادها الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابى أثر عظيم فى إذكاء الروح الوطنى ، فالعالم الغربى ظل سنوات طويلة يستهين بالشعوب الإسلاميه ، ولم يعد لهذه الشعوب صوت مسموع فى المحافل الدوليه ، لكن الخطابى رفع هذا الصوت من جديد وأرغم العالم على الاستماع إليه .

وكان الخطابى فى نظر المغاربة بطلا إسلاميا ، كما كان بطل الاستقلال الوطنى فى نفس الوقت ، وهذان الأمران — الإسلام — والوطنيه — هما أقرب المثل العليا إلى قلوبهم .

فإذا أضيف إلى هذا أن شباب السلفيه قد نجح فى فرض مطالبه أثناء

ثورة فاس (سنه ١٣٣٩ هـ سنه ١٩٢٠ م) من أجل مياه واديها ، إذن لماذا لا يتحرك الشباب المغربى ، ويفلزح عن حقيقه أهدافه ؟

لقد شهد مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، تحولا كبيرا فى حركة الشباب المغربى نحو أهدافه فى الحرية والاستقلال، إذ اجتمع نحو اثنى عشر شابا من شباب المغرب فى حديقه ؤاصه فى الرباط. وأخذوا يتحدثون عن بلاذهم التى فقدت استقلالها ويذكرون عهد الحرية الذى سبق وبالتالى يفكرون فى الطريق إلى التخلص من هذا الوضع المزرى للعربيه والإسلام

كان المضيف هو الوحيد الذى لم تجرفه تلك الوطنيه السهلة المتناول التى غمرت رفاقه ، أما اسمه فهو « أحمد بلا فريج » وهو من أبناء الطبقة المتوسطه وقد فقد والديه فى باكرة طفولته فرباه أحد أخواله . . وهذا الاجتماع الذى تحدثنا عنه إنما عقد فى حديقة ذلك الخال كان مظهر «أحمد بلا فريج » يوحى بالاحترام والهيبه حتى وهو فى سن الثامنه عشرة وقتها ولقد أنهى بلا فريج خطابه تلك الليلة قائلا : « أن ظلمة القبور أكثر عزاء للنفوس من ضوء الشمس ، إذا ماحرمت هـــذه النفوس من الحريه والاستقلال . .

« وكان من نتيجة هذا الاجتماع إنشاء جمعيه اسمها الرسمى « جمعية أنصار الحقيقه وهى تسمية لايستطيع حتى مدير « البوليس » نفسه أن يجد فيها سبباً للإعتراض ، أما الاسم السرى للجمعية .. فهو « الجامعه المغربيه» . (١٢)

وفى نفس صيف سنة ١٩٢٦ م اجتمع فريق آخر من شباب المغرب للبحث فى أمر مستقبل بلادهم ، وقد تم اجتماعهم فى فاس . . فى احدى المدارس القديمة التى بليت زخارفها الخشبيه وسقط طلاؤها ..

وللمرة الثانيه يصبح زعيم الاجتماع شاباً فى الثامنة عشرة ، كان اسمه

علال الفاسى » . .. كان الهدف من هذا الاجتماع إلى جانب البحث فى أمر مستقبل البلاد — تدبير وسيله لمعارضة تعاليم ، نادى بها أحد غلاة الصوفيه هو « عبد الحى الكتانى » ، حيث اتهم من قبل الشباب بأنه يتخذ الخرافات ويحول ظلام الجهل ؛ وبأنه أدى مساعدات فعلية « للبوليس » الفرنسى .

ولقد قال « علال » فى هذا الاجتماع : « علينا أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الآخرين .. دعونا نحرر أنفسنا قبل أن نحرر أبداننا » .

كان صوته نموذجاً لصوت المصلح المغربى الذى يمثل دون قصد منه المذاهب الموروثه مع ماتتضمنه من الخلاص عن طريق الصفاء الروحى . وانتهى الاجتماع بإقرار تأسيس حركه سريه سميت : « اتحاد الطلبه » وما لبث أن سمع كل من مؤسس حركتى الرباط وفاس ببرنامج الآخر ، فقرروا ادماج تنظيمها فيما يسمى « بالجامعه المغربيه » التى هى أصل للوطنية المغربيه أو بمعنى آخر لحزب الاستقلال .

لقد كان بلافريج ورفاقه يبعثون فى الحركه طابع الشورى ، الذى هو فى نفس الوقت طابع المبادىء الروحية الإسلامية التى يؤمن بها رجالها فى فاس ، وبذلك كانت الحركه تتمشى تماماً مع الاتجاهات التى بعثت النشاط فى معظم حركات الإصلاح الحديثه فى العالم الإسلامى .

السياسة البربرية :

نجحت فرنسا فى فرض حمايتها على المغرب سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م ولكنها لم تكتف بذلك ، بل عملت على إدماجه فى الوطن الفرنسى ، ولم تجد أمامها عقبات تحول دون تنفيذ ماتريد إلا الاسلام واللغـــة العربيه . .

فالاسلام هو القانون وهو مصدر التشريع وهو العقيدة السائدة

وهو دستور المغاربة جميعا وهو من جهة أخرى حارس الثقافة العربيه ، وهو العامل الأساسى فى وحدة الشعور والاتجاه الفكرى وهو المثل الأعلى لكل مغربى كان أم بربريا .

وإذاً فلا أمل أمام فرنسا فى تطبيق سياسه الادماج إلا إذا حطمت هاتين الصخرتين العاتيتين : الاسلام والثقافة العربيه .. ولهذا أوفدت علماءها إلى المغرب وهيأت لهم الظروف لدراسه هذا الموضوع ، فلم يجدوا أمامهم إلا العمل على سياسة التفرقه بين العنصرين اللذين يتألف منهما سكان المغرب وهما : العرب والبربر .

وتوهم علماء فرنسا وساستها أنهم يستطيعون بعد هذه التفرقه أن ينفردوا بالبربر ويطبقوا عليهم سياسة الادماج فى الوطن الفرنسى ..

ولهذا نرى الأستاذ / جوذ فروى — ذومنبين يقول : « من الخطر أن نترك كتلة ملتحمه من المغاربه لغتها واحدة . وأنظمتها واحدة .. لا بد أن نستعمل لمصلحتنا العبارة القديمه : « فرق تسد » أن وجود العنصر البربرى هو آلة مفيدة لموازنة العنصر العربى ويمكننا أن نستعمله ضد الحكومه المغربيه » .

كذلك كتب مسيو جلاى أحد موظفى الاقامه الفرنسيه فى مقال بعنوان « المدرسه الفرنسيه لدى البربر » مايأتى : يجب أن تحذف تعليم الديانة الاسلاميه واللغه العربيه فى مدارس البربر ، وأن تكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينيه » ، وإذن فالسياسه البربرية ترمى إلى فرنسه المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا .. (١٣)

وتطبيقاً لهذه السياسة :

١ — أنشأ ليبوتى المقيم العام الفرنسى معهداً لتدريس اللهجات البربرية فى مراكش ، وهذا العمل تمهيد لإحلال اللغه الفرنسيه محل اللغةالعربيه .

٢ — استصدر ليبوتى ظهيراً (مرسوماً) فى ١١ سبتمبر سنه ١٩١٤ م يدعى أنه مازال بالمغرب جنسان متفاوتان هما : العربى والبربرى ، وأن هناك قوانين بربرية تخالف القوانين الإسلامية مخالفة تامه ، وأن هذه القوانين لاتزال مستعملة ، وأن للبربر بها ولعاً شديداً .

٣ — أنشأت فرنسا مجالس الجماعات البربرية كى تتخذها سلاحا تحارب به سلطة القضاء الإسلامى وسلطة الحكومه المغربيه .

٤ — أصدرت الإقامه العامه الفرنسيه فى مراكش أمراً فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٥ م ، يقضى بجعل اللغة الفرنسيه هى اللغه الرسميه للجماعات البربرية ، وقد علق « ريبو » على هذا الأمر قائلا : « أنه اتجاه محمود العاقبة وهو يهدف إلى مقاومة « تعريب البربر » .

وفى نفس الوقت كانت الحرب ضد المنظمات الثقافيه المغربيه قائمه ، وكان المستعمر يناصب المعاهد الإسلاميه العداء .

لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات ، ونصبت عداءها المستمر عليها وعلى سائر فروعها فى أنحاء المغرب . (١٤)

وكان هذا الذى حدث مقدمه لاصدار الظهير البربرى ف (١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م) ذلك الظهير الذى كان حلقه من سلسلة طويله أعدتها فرنسا لهدم الدين والقوميه فى المغرب ، والذى نبتت أصوله فى جامعة الجزائر حيث كان موضوع رسالة « ريبو » للحصول على الدكتوراه فى القانون

والذى وضعت فرنسا — بإصداره — فى أيدى الوطنيين سلاحا ما كانوا يحلمون به مطلقا ، إذ بدءوا حمله موجهه ضد إجراء حرم المؤمنين من التشريع الذى أنزله الله . (١٥)

يقول الأستاذ / « علال الفاسى » عن السياسة البربرية : أنها تجرد القسم الأكبر من رعايا البلاد من سلطة الملك الدينيه والزمنيه التى تتجلى فى القضاء الشرعى والحكومه ، وتعمـــد إلى الكتاتيب القرآنيه والمساجد فتثقلها وتحول بين الفقهاء ورجال الدين وبين التجول لتعليم الناس بأحكام دينهم واستمرت تبدو فى مظاهر متعددة إلى (١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م) . حيث تجلت فيما سمى بالظهير البربرى .. (١٦)

ويتلخص هذا الظهير فيما يأتى :

١ — فصل القبائل البربرية عن المغاربه ، العرب لغه ودينا ، وذلك بنشر التعليم الفرنسى والتبشير المسيحى الكاثوليكى ومنع التعليم العربى الاسلامى فى المناطق البربريه .

٢ — فصل القضاء البربرى عن الشرع الاسلامى والتدرج فى ادخاله ضمن القضاء الفرنسى .

٣ — تمليك الفرنسيين أراضى القبائل بطرائق يستنبطونها من عادات البربر وتقاليدهم التى يحترمونها .. (١٧)

مقاومة السياسة البربرية :

شهد ربيع سنة ١٢٤٩ هـ — ١٩٣٠ م انتعاشا غير منتظر فى نشاط البعثات التبشيريه المسيحية فى مراكش ، وكان هذا مبررا سهلا لدى الوطنيين لإبراز الظهير البربرى على أنه آخر إجراء اتخذته فرنسا فى صراعها ضد الإسلام .. لقد أدى الفزع الذى أحدثته الظهير إلى الحملة الماهرة التى قام بها الوطنيون إلى ملء المساجد بالجماهير التى تتوجس الشر ، وبدأ مسجد القرويين يمتـــلى كل يوم بآلاف المسلمين الذين يستمعون إلى الخطباء « ويوجهون البرقيات ويختمون عملهم بدعاء خاص بأوقات الفزع ، ينتهى بهذه العبارة « اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، وألا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر ..(١٨)

وقد ذهبت الجماهير إلى ضريح مولاى إدريس مؤسس المدينة ووليها الحارس ..

استمرت الحركة الوطنية فى إلهاب حماس الجماهـــير ، حيث كانوا يخرجون بالمصلين من المساجد متظاهرين فى الشوارع ليستمعوا إلى خطباء الشباب الذين يشرحون لهم الموضوع ويعرفونهم بالحال . وحدث أن وصل المتظاهرون لدار شيخ المدينة .. فقامت السلطة باعتقال خمسة وعشرين شابا جلدتهم بالسياط ، من بينهم عبد العزيز بن إدريس والهاشمى الفيلالى ومحمد الوازنى وعلال الفاسى ، كما اعتقلت فى الرباط عبد اللطيف العتابى وفى سلا عبد اللطيف الصبيحى ، ولم تنقطع المظاهرات بمدينة فاس والرباط وسلا طوال أربعة عشر يوما . مدة بقاء الوطنيين المعتقلـــين فى السجن .. مما اضطر الإدارة الفرنسية إلى أن تذيع بيانا تدعى فيـه أن كل ما فعلته هو تنظيم لقضاء قديم . وأطلقت سراح المعتقلين .

لكن الحركة الوطنية لم تفتر ، بل كونت وفدا من العلماء والأعيان للتفاوض مع الإدارة الفرنسيه .. ولما رأت الإدارة الاستعماريه أن الحركة تطورت إلى هذه الدرجة .. وزعت منشورا أعلنت فيه قبولها لإخراج أية قبيلة تطالب بالقضاء الشرعى من حظيرة القبائل التى يشملها الظهير البربرى .. وكانت الادارة تهدف من وراء ذلك خداع الحركة الوطنية ذلك لأنها بعد أن وزعت هذا المنشور ألقت القبض على رجال القبائل الذين طالبوا بالعودة للقضاء الشرعى ، وأثر ذلك شكلت الحركة الوطنية وفدا برئاسة عبد الرحمن القرشي وتولى الأمانة العامة السيد عبد الواحد الفاسى والد علال الفاسى .

تقابل الوفد مع الملك فى الرباط وقدم له مطالب الجماهير ، ونتيجة ذلك ألزمت الادارة .. الفرنسيه أعضاء الوفد بالعودة إلى فاس وألقت القبض على أعضائه فقررت «فاس» الاضراب العام » واستمرت المظاهرات عشرة أيام وقع فيها اصطدام مع البوليس ،» والجيش الذى احتل المساجد الكبرى وشوارع المدينة وأعلنت الطوارىء وألقى القبض على مئات من السكان » وتقرر نفى علال الفاسى ومحمد اليزيدى وابن عبد السلام الحلو وغيرهم .

وكانت هذه الجولة بين الحركة الوطنية فى «فاس» وبين الادارة الفرنسية فاتحة عهد كفاح وطنى فى الداخل والخارج » . أهتم فيه العالم الاسلامى بقضيه المغرب وعرف ما يبيته الاستعمار الفرنسى من دسائس للدين والعروبة ، فارتفعت أصوات الغضب فى تونس والقاهرة وبغداد ، وقدم الأمير شكيب أرسلان الكاتب السورى الكبير الذى يعتبره العرب أحد زعمائهم الروحيين نصيحته إلى إخوانه المسلمين .. بألا يشغلوا أنفسهم باحتجاجات تقدم إلى صحفهم وحكوماتهم ، وعليهم أن يحتجوا لدى عصبه الأمم والدول الكبرى والحكومه الفرنسيه ومجلس شيوخها وبرلمانها ، وأن يوقفوا كل معاملاتهم التجاريه مع فرنسا ، إذ أن هذه المقاطعه هى

إحدى الأسلحه التى يخشاها الأوروبيون أكثر مما يخشون ، لأنهم يعبدون المال أكثر مما يعبدون الله ...(١٩)

ولقد عمل بنصيحه الأمير شكيب أرسلان إلى جد ما ، فشكلت لجان للدفاع عن مسلمى المغرب فى « القاهرة » وفى برلين وفى جاوة وتدفقت الاحتجاجات والالتماسات على الهيئات الوطنيه والدوليـه . . وفى فرنسا نفسها احتجت بعض الصحف على الظهير ولكن غالبيه الصحف الفرنسيه استنكرت هذه الاضطرابات المغربيه على اعتبار أنها من عمل عصابه صغيرة من قطاع الطرق لا يحملون إلا شهادة الابتدائيه المشكوك فى أمرها ، يحاولون أن يظهروا أمام العالم وكأنهم غاندى وسعد زغلول.. (٢٠)

وقررت كتلة العمل الوطنى فى المغرب — وهو الاسم الذى أطلق على الحركه — إصدار بعض الصحف وحملت فيها على المستعمرين وعلى الأوضاع المترديه فى المغرب فصدرت « عمل الشعب » و « السلام » و « الحياة » وإلى جانب ذلك قررت أن يقوم الأستاذ / علال الفاسى بالقاء دروس شعبيه عامة يحضرها آلاف المغاربه من الرجال والنساء ،، وكانت هذه الدروس ظاهرها دينى وباطنها شديد الاتصال بالسياسه إن لم يكن هو السياسه بعينها .. ومما كان له الأثر الفعال فى بعث الاحساس بالذات والشعور بالواجب وفى بث الشجاعه فى القلوب ..(٢١)

وبمرور الوقت رأت الادارة الفرنسيه أن هـذه الدروس ماهى إلا مظاهرات سياسيه يوميه لا يمكن السماح باستمرارها ، فاستخدمت كل الوسائل لمنعها .. ولكن وقوف العالم الشيخ محمد بن العربى العلوى موقف الدفاع الصادق عن الأستاذ / علال الفاسى كان يحبط هذه المساعى والتى تكررت أربعا وعشرين مرة ، ولم يقبل الملك محمد الخامس أن يصدر مثل هذا القرار .

كانت فرنسا تركز دائما على إشعال العداء بين الملك والوطنيين، ولهذا فان كتلة العمل الوطنى انتهزت فرصه زيارة الملك السنويه « لفاس » فى (١٣٥٣ هـ — ٨ مايو ١٩٣٤م) . ونظمت له استقبالات شائقه . ونصبت أقواس النصر لتظهر له ولاءها فى عاصمه ملكه (الروحيه) وأدعى الحاكم الفرنسى للمدينه أن بعض شباب فاس هتف ضد فرنسا كما أن شابا آخر عمد إلى يهوذى يرفع العلم الفرنسى فلطمه ورمى بالعلم فى الأرض ، واتخذ من ذلك ذريعه لمنع الملك من الصلاة فى جامع فاس فى (١٠ مايو ١٩٣٤م) وطلب إليه أيضاً اعتقال زعماء « كتله العمل الوطنى » ورفض الملك .

ولم يجد السلطه أمامها إلا إيقاف الصحف التى أصدرتها الكتله، وكانت الإقامه قد انتهزت فرصه الصدام الذى حدث بين الصليب النارى وأحزاب اليسار فى فرنسا ، فأصدرت أمراً تليفونياً عسكرياً لشيخ القرويين بمنع علال الفاسى من التدريس .

عينت فرنسا الجنرال / « نوجيس » مقيما عاما لها فى المغرب، فأصدر قرار بحل : كتله العمل الوطنى فى (١٨ مارس ١٩٣٧ م) فواصلت الكتله نضالها تحت اسم : الحركه الوطنيه لتحقيق المطالب » ... ثم ما لبثت أن تحولت الحركه إلى ما عرف « بالحزب الوطنى » .. وقد تشكلت فى داخل الحزب عدة لجان قامت بتنفيذ برنامجها الاصلاحى والتجديد فى كافه المجالات ومن هذه اللجان :

لجنه التعليم :

قامت بتأسيس عدة مدارس فى المدن والقرى ، كما عملت على تنظيم القرويين تنظيما صحيحا وحشد طلبتها فى صعيد واحد لمقاومه كل تيار يضر بالروح التقدمية فى الجامعه الاسلاميه الدينية العتيقه ، واستطاعت أن تبذل

جهوداً جبارة فى تكوين بعض المعاهد الدينيه فى « وجدة » و « فضالة » وغيرها . وبعث المعاهد التى فترت حركتها . . كما قامت بدعوة واسعه لتعليم البنات وتهذيبهن وعملت على تأسيس بعض جمعيات قدماء التلاميذ بالقرويين وغيرها من المدارس العربيه كما ألبت طلبه القرويين للاضراب من أجل الدفاع عن مطالبهم الحيويه وأسست للطلبه دوراً يجتمعون بها فى فاس ، للمحاضرة والمذاكرة .

لجنه الاصلاح الدينى والاجتماعى :

نادت هذه اللجنه بتثبيت دعائم السلفيه ومقاومة أدعياء التصوف ، واهتمت بجامعات تحفيظ القرآن الكريم فجمعت أشتاتها .. وهذه الجمعيات هى التى دعت إلى تجويد القراء وأنشأت عدة خزائن مملوءة بالمصاحف .

لجنـــة التقويم الخلق :

كانت مشكلة من طلبه القرويين ، تلاميذ المدرسه الثانويه بفاس ، وكان لها فروع من طلبه المعاهد الدينيه وغيرها بسائر المدن المغربيه ، وكانت ترمى إلى مقاومه الأخلاق السيئه ، وكان شباب هـــذه اللجنه ينثبون فى كل المحال العامه يدعون الناس للعدول عن شرب الخمر وتعاطى المخدرات ويعملون على غلق الحانات فى الأحياء الاسلاميه .

استمر الحزب الوطنى فى عدائه لفرنسا، ولذا قرر الجنرال «نوجيس» نفى علال الفاسى إلى « الجابون» فى افريقيا . كما قرر إبعاد محمد اليزيدى وعمر عبد الجليل وأحمد مكوار إلى أماكن أخرى .. وكنت ثورة عارمه شملت المغرب من أقصاه إلى أقصاه .

الثورة الوطنية :

شملت الثورة كل أنحاء المغرب ، ففى فاس كان التصادم قويا بين الجيش والمتظاهرين استمر أياما حتى أن الحاكم الفرنسى للمدينة كان يعلن فى بلاغات عسكرية متتابعة مراحل إحتلاله لمراكز التجمع الوطنى فى المدينة ، وبعد صراع شديد وسقوط العديد من القتلى والجرحى تمكن الجيش من إحتلال المركز العام للحزب ، واحتل الجند سائر أحياء المدينة ولم يبق للمتظاهرين إلا جامع القرويين الذى أخذوا يحتشدون فيه بالآلاف للتظاهر وإعلان التضامن مع زعمائهم . . وبالرغم من صدور الأمر بغلق جميع مساجد المغـــرب ، إلا أن الوطنيين استطاعوا أن يستمروا فى التجمع بالقرويين مستعملين جميع الوسائل ، وتدخل الجيش وأخرجهم من الجامع بالقوة إلى الشارع ، حيث كان العسكر ينتظرونهم ، ووقعت معارك دامية اعتقل فيها أكثر من ألف وطنى سيقوا جميعاً للسجن ، كما اعتقل السيد / عبد العزيز ابن إدريس والهاشمى والفيلالى وغيرهما من رجال الحركة . . وبالرغم من القمع الذى تعرضت له الحركة ، إلا أن أعمال الدعاية والتنظيم استمرت فى المدينة .

حزب الاستقلال :

كان من الضرورى للحركة الوطنية بعد هذه الأحداث أن تخرج من سياستها إلى سياسة واضحة المطالب وحاسمة أيضا ، فلقد اتضح — على حد تعبير علال الفاسى — « أن طلاقا باتا قد وقع بين الشعب وممثلى الحماية ونظامها .. وأنه لابد من عمل حاسم . . وهو إعلان الاستقلال ، فاجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى فى الرباط فى (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) ، وتقرر فى هذا الاجتماع إنشاء « حزب الاستقلال » وسار هذا الحزب

على طريق النضال — حتى اليوم — وتكتلت فيه كافة طبقات الشعب المغربى فتراه قد شمل :

١ — الحزب الوطنى بكامل ما يمثله من جماهير مغربية ومعلوم أن قيادته كانت من العلماء .

٢ — عديد من الشخصيات البارزة من أساتذة الجامعة القروية والمعاهد الكبرى وأساتذة المدارس الثانوية والمفتشين والقضاة الشرعيين والمدنيين وكبار الموظفين .

٣ — رؤساء أعضاء المجالس الإدارية لجمعيات قدماء التلاميذ فى فاس والرباط وسلا ومراكش وغيرها .

وما لبث أن قدم الحزب فى (١١ يناير ١٩٤٤ م) إلى الملك مشروعه الذى أعده ويطالب فيه بالاستقلال المغرب ، فعقد الملك محمد الخامس المجلس الوزارى فى ١٣ يناير من نفس العام لبحثه ، وكان للعالم الشيخ « محمد بن العربى العلوى » الفضل فى جمع كلمة المجلس على تأييد هذه المطالب وإقرارها ، وإتصل الملك بالإدارة الفرنسية لتنفيذه ، ولكن دون جدوى وقد وفدت على الملك الوفود الشعبية تؤيد المطالب ، وكان فى مقدمتها وفد المجلس العلمى للقرويين والمعاهد الدينية وأهمية هذا المجلس من ناحية الدور الذى يقوم به فى الحياة العامة بالمغرب عظيمة جداً .

وما لبثت الإقامة الفرنسية أن إتخذت ذريعة لإعتقال رجال الحزب بإدعاء أن وراءهم دول المحور وأنهم أعداء فرنسا ، واعتقلت الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدى . فكان الاضراب الذى شمل أنحاء المغرب . . وكانت مظاهرات « فاس » للاحتجاج على إعتقال الزعماء خطيرة ، إذ وقع إصطدام بين المتظاهرين والجيش فى (٣١ يناير ١٩٤٤ م) ، واستشهد فيه « ستون وطنيا وجرح نحو المائة وسجن ألف شخص » ، وهاجم

الوطنيون حصن (تامدرت) الذى يرابط فيه الجيش السنغالى ، وكذلك حومة الدوح ، كما وقعت معركة عنيفـــة فى أول فبراير بين الوطنيين والجيش السنغالى ، وفى مساء ٢ فبراير قتل المتظاهرون جنديا سنغاليا ، فأدى الأمر إلى إشتداد الصدام ، ثم حدث أن قتل الوطنيون المحتشدين بالجامع القروى جاسوسا معربيا قيل أنه كان يسجل أسماء بعض الخطباء داخل المسجد فذبحه مجهول بسكين .. فاشتدت السلطة على الشعب ، ولم يزدد الوطنيون إلا حماسا .

واستمرت المقاومة بين الجماهـــير الفاسية والجيش أسبوعين .. وحاصرت القوات الفرنسية الأحياء وقطعت التيار الكهربى والمياه ، وتشكلت فرق الأغاثة من أعضاء الحزب حيث قامت بتوزيع الأغذية والأدوية عن طريق أسطح المنازل ، وهـدد الفرنسيون بعدم احترام الأماكن المقدسة ، إذ أبلغت لجنة العلماء — التى كانت تحاول تهدئة الخواطر — حاكم المدينة فى ٤ فبراير ١٩٤٤ م بأنها تؤيد الزعماء المعتقلين مما أدى إلى القاء القبض على اللجنة « وغيرها من علماء الجامعة القروية » وعم الأضراب سائر المدن المغربية .. فأعلقت سائر المدارس كما أغلقت جامعة القرويين سجن مديرها وثلاثة من أعضاء مجلسها الأعلى العلمى ، ثم نفوا وظلت الدراسة فى الجامعة القروية بعد افتتاحها غير منظمة ثلاث سنوات ..

ولا يفوتنا أن نذكر « أن العالم الشيخ محمد بن العربى العلوى وزير العدل إذ ذلك أعفى من منصبه وأبعد إلى الصحراء ، وقررت فرنسا تعيين الجنرال « جوان » مقيما عاما لها فى المغرب ، وقد قوبل تعيينه من قبل أغلب الهيئات الفرنسية بالتحبيذ .

أما المغاربة فقد عارضوا ذلك معارضة شديدة .. ولا شك أن فرنسا كانت ترمى من وراء تعيينه القضاء على الوطنية المغربية .. لكن

التحرك الوطنى استمر فى أداء مهمته من أجل تحقيق أمانى الوطن المغربى .

أدرك الجنرال « جوان » أن الملك محمد الخامس يعطف على الحركة الوطنية ويؤيدها ، كما علم بأن الملك « يعترف بأن حزب الاستقلال يعبر حقا عن رأى الشعب المغربى » . .

ولذلك فقد عمل ما فى وسعه لتهديد الملك ، ونظم مؤامراته مع ابن عرفة لتحقيق ذلك ، إذ هدد الملك بالعزل وتولية ابن عرفة إذا لم يذعن لأوامره . . نقلت هذه الأوامر إلى الملك على شكل انذار شفوى هذه خلاصته :

١ — اصدار بلاغ ملكى ، وبلاغ وزارى لاستنكار أسلوب ماعبر عنه بحزب الأحزاب (المقصود به حزب الاستقلال) .

٢ — طرد أعضاء الديوان وبعض كبار موظفى الحكومة ومدير جامعة القرويين .

٣ — تعديل الهيئة الوزارية بعزل وزراء ومندوبين .

٤ — عزل بعض القواد وتعيين آخرين عوضهم فرضتهم الإدارة ، ولا ذنب لأولئك كلهم إلا وقوفهم إلى جانب صاحب الجلالة .

ثم قدم المشروع إلى الملك رسميا فى (٢٦ يناير ١٩٥١ م) وعرف بمشروع الجنرال « جوان » (٢٣) وفى ٢٥ فبراير أعدت طائرة لنقل صاحب الجلالة وعائلته خارج المغرب إن أصر على الإمتناع عن التوقيع .

وفى (٢٠ أغسطس ١٤٥٣ م) — وبعد أن تأكد العداء بين الملك والإقامة الفرنسية — تقدم الجيش الفرنسى إلى قصر السلطان ، واقتحم القائد الفرنسى غرفته ، وسلمه وثيقة التنازل عن العرش ليوقعها ، فمزقها السلطان ، وهنا ثار القائد الفرنسى ، وقررت الحكومة الفرنسية نفى

السلطان إلى خارج مراكش فى مدغشقر) ، وجاء الفرنسيون بسلطان غير شرعى وهو (ابن عرفه) وتوجوه على مراكش ، وكان من المقرر أن يتجه (تهامى الجلاوى) وأصحابه المسلحون على يد الإقامة العامة إلى (فاس) لإكراه العلماء على مبايعة (ابن العلوى) إلا أن هذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح ، ذلك أن عرب المغرب جميعا لم يعترفوا بالسلطان الجديد ولم ينحنوا أمام طغاة فرنسا ، وقابلوا القوة بالقوة واستمر القتال سجالا بين شعب المغرب بكل طبقاته ، وبين جيوش فرنسا .. ورفض العلماء مبايعه لصيق العرش ، وكان فى مقدمتهم العالم الشيخ محمد بن العربى العلوى والأستاذ العلامة عبد الله كنون — مد الله فى عمره .

ولما لم تجد فرنسا بدا من الخروج من المغرب دخلت فى مفاوضات مع الزعماء المغاربة فى ١٩٥٦ م) — وكانت ثورة الشعب المغربى حادة فى جبال الأطلس الوسطى طوال (١٩٥٥ م) تنادى بضرورة إعادة السلطان وأسرته واستقلال المغرب — وأرغمت أمام مقاومة الشعب الباسلة إلى الخضوع وأعادت السلطان وأسرته واعترفت فى مارس (١٩٥٦ م) باستقلال المغرب وسيادته ووحدته ، وتلتها أسبانيا فى ١٨ أبريل من نفس العام .. وتوالى اعتراف الدول بالمغرب دوله مستقلة .

وفى (أكتوبر ١٩٥٨ م) انضمت المملكة المغربية إلى جامعة الدول العربية .

وهكذا كان للعلماء دور بارز فى تحرير المغرب العزيز ...

مصادر ومراجع

١ — محمد عبد السلام عبود : تاريخ المغرب : جـ ٢ ص ١٩ — ٢٢

٢ ، ٤ — السلاوى : الناصرى : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ٢ ص ١٥٧

٣ — دعوة الحق « مجلة تصدر فى الرباط » عدد شعبان سنة ١٣٨٠ هـ : ص ١٩

٥ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ — روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : جـ ١ ص ١٤ ، ١٧٨ ، ١٧١ ، ١٧٢

٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ — علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب : ص ١٠٨ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤

٩ ، ١٤ — علال الفاسى : محاضرات فى المغرب العربى : ص ١١٣ ، ٧٠

١٧ — محمود العابدى : المغرب ملك وشعب : ص ٣٢

١٩ — مجلة الفتح : عدد نوفمبر سنة ١٩٣٣

٢١ — ابن جلون : هذه مراكش : ص ٢١٦

٢٢ — فؤاد مصطفى : محمد الخامس وكفاح المغرب العربى : ص ١٨

مهرجان الشعر الأول

مهرجان الشعر الأول
بمناسبة المولد النبوى الشريف

إن لجامعة الأزهر الشريف رسالة عظيمة تقوم على نشر الإسلام ولغته، والمحافظة عليهما، والدفاع عنهما.

وكلية اللغة العربية بدمنهور منذ اليوم الأول لوجودها فى هذا الإقليم وهى تعمل بجد وإخلاص على تحقيق هذه الرسالة الخالدة، ومن هنا كان حرصها على إحياء المناسبات الدينية، وإقامة المحاضرات الثقافيـة لنشر الفكر الدينى، وبث الوعى اللغوى بين أبناء هذا الإقليم.

وفى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ أقامت الكلية مهرجاناً شعرياً كبيراً، نظمته اللجنة الفنية باتحاد الطلاب، ودعت إليه شعراء البحيرة بجانب شعراء الكلية، لإحياء هذه الذكرى العطرة، بفن العربيه الساحر، ونغمها العذب الرصين.

وقد أقيم هذا المهرجان الحافل يوم السبت ٦ من ربيع الآخر ١٤٠٥، ١٩٨٤/١٢/٢٩ تحت رعاية الأستاذ الدكتور عبدالله ربيع محمود عميد الكليه ورائد الشباب، وشرف بحضور الأستاذ الدكتور رشاد خليل عميد كليه الشريعه والقانون، وجمع كبير من الضيوف وأعضاء هيئه التدريس والطلاب.

وبدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم من الطالب شعبان عبد الله عيد ثم كلمه للطالب السيد محمد العطار أمين اتحاد الطلاب فكلمه للأستاذ الدكتور عميد الكليه، وبعد ذلك أخذ الشعراء فى إنشاد قصائدهم الغراء.

والشعراء الضيوف الذين سعد بهم المهرجان هم:

١ — الأستاذ اللواء محمد حلمى الزيات — جمعيه الأدباء بدمنهور.

٢ — الأستاذ سعيد فايد سكرتير جمعيه الأدباء بدمنهور .

٣ — الأستاذ صلاح غانم عضو جمعيه الأدباء بدمنهور .

٤ — الأستاذ أحمد درويش مدرس لغه عربيه بالتربيه والتعليم .

٥ — الأستاذ عطيه جمعه هارون المفتش بالأزهر بالبحيرة .

أما شعراء الكليه فهم :

١ — الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت المدرس بقسم البلاغه والنقد ، ورائد اللجنه الفنيه .

٢ — الأستاذ ربيع محمد صادومه المدرس المساعد بقسم أصول اللغه .

٣ — الأستاذ أبو الفتوح الغمرى المدرس المساعد بقسم اللغويات .

٤ — الطالب / على أحمد الشيخ كليه اللغه العربيه — الصف الثالث .

٥ — الطالب / خالد ناصف كليه اللغه العربيه — الصف الأول .

٦ — الطالب / محمود عبد الحميد كليه اللغه العربيه — الصف الأول .

٧ — الطالب / محمود السيد داود كليه الشريعة والقانون .

هذا وقد ختم الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم . وقد أبدى الحاضرون إعجابهم بالمهرجان وماقيل فيه من قصائد ، وأعلنو رغبتهم فى المداومه على إقامه مهرجانات الشعر فى مختلف المناسبات ليسعد الجميع بسماع ألحان العربيه الخالدة ، ويتذوقوا جمالها وبلاغتها .

وسنعرض فيمايلى بعض الكلمات والقصائد التى قيلت فى هذا المهرجان .

مقدم المهرجان

د . الشحات محمد عبد الرحمن

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية ورائد الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الضيوف ، الإخوة الزملاء ، الأدباء الشعراء ، أبنائى وتلاميذى الأعزاء ، لا أستطيع أن أعبر عن سعادتى فى هذا اليوم المبارك من أيام جامعة الأزهر ، ومن أيام كلية اللغة العربية بدمنهور . التى عشت فيها منذ كانت فكرة ، وعملت لها منذ كانت نبتة ، ومازلت أعمل لها وسأعمل لها بإذن الله ، حتى تصل إلى غايتها . وحتى تؤدى رسالتها . فى هذا الإقليم ، وفى كل أقاليم مصرنا الحبيبة بإذن الله .

تنبع سعادتى فى هذا الملتقى الشعرى المبارك من أننى أشهد إخوة كراما ، هم شعراء المدحة النبوية ، هم شعراء الحضرة المحمدية ، جاءوا إلينا ليشاركونا حفلنا هذا الطيب العظيم ، حبا فى رسول الله ﷺ ، وابتغاء وجه الله ، ادون انتظار لأجر من غير الخالق سبحانه وتعالى ، وحق علينا جميعا أن نحتفل بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ، وحق أكبر وأعظم على على الشعراء أن يلهجوا بهذه الذكرى ، وأن يتحدثوا بشمائل المصطفى ﷺ فقد كان يحبهم ويرعاهم ، ويجعل منهم جنوده فى سبيل نشر دعوته الإنسانية ورسالته الربانية ، يحدثنا التاريخ أن رسول الله ﷺ قد عرف للشعراء قدرهم ، فلم يهمل هذا السلاح الماضى ، ولم يهمل هذه الدعاية التى يمكن أن تخدم الاسلام ، وأن تخدم المسلمين فى كل زمان وفى كل مكان .

كان رسول الله ﷺ — على عكس مايقول البعض — يحب الشعر ويحب الاستماع إليه . فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله ﷺ ، فقال : هل عندك من شعر أمية ابن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم ، فقال ﷺ : هيه ، فأنشدته بيتا ، فقال:

هيه،فأنشدته بيتا آخر فقال : هيه،فما زلت أنشده حتى أنشدته مائة بيت..
فقال ﷺ : كاد أمية أن يسلم .

إنى أسوق هذه القصة ليتبين منها كيف كان رسول الله ﷺ يحب الشعر ويستمع إليه ، ولو كان هذا الشعر من غير مسلم ، فكيف به إذا كان من مسلم ، ويحدثنا كتاب السيرة أنه ﷺ كان ينصب للشعر منبره فى مسجده الشريف ، ويستمع من حسان الذى يدافع وينافح عن الدعوة الإسلامية وعن رسول الله ﷺ،والذى استطاع أن يهجو شعراء الكفار الذين تعرضوا لرسول الله ﷺ ، ولقد قال له النبى ﷺ : كيف تهجوهم وأنا منهم ، فقال له : سأسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قدرة لا يستطيعها إلا الشعراء ولا يصل إليها إلا الأدباء .

ومن ثم شجع رسول الله ﷺ حسان بن ثابت على قول الشعر و كان يستمع لإنشاده،كما أستمع إلى شعراء آخرين كانوا مقاول ولهم،قدم صدق فى الدعوة الإسلامية وفى الدفاع عن الإسلام ، نذكر منهم عبد الله بن رواحه ، و كعب بن مالك، و كعب بن زهير الذى مدح رسول الله ﷺ وتحدث فى مدحه عن سعاد وعن الراح وعن أمور كثيرة من التشبيهات والإستعارات وسمعها رسول الله ﷺ واستمع إليها صحابته دون أن ينكر عليه أحد لأنه فى سبيل الحق وفى سبيل الخير وفى سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أيها الإخوة أيها الأبناء :

لا يمكن لأحد أن يقول إن للاسلام موقفاً من الشعر إلا أن يكون ذلك الموقف موقف التأييد والحب والتوجيه والإرشاد ، كل مايريده من الشعر أن يكون خيراً ، وأن يكون عفيفاً . وأن يكون ذا هدف صالح لإصلاح المجتمع وإصلاح الناس .

ومن هنا نفهم معنى قول رسول الله ﷺ لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً ، يقصد الرسول الشعر الذى لا يلتزم بالأخلاق ، والذى لا يتبع الحق ، والذى لا يعمل للإصلاح، مما نراه كثيراً فى زماننا هذا من أولئك الذين لم يعرفوا للشعر قدره،ولم يعرفوا له قيمته ، فوظفوه فى غير مايرضى الله وفى غير ما يصلح المجتمع.

إن الرسول ﷺ هو الذى قال : إن من الشعر لحكمة،وهو الذى قال عن كلمة شاعر أصدق كلمة قالها شاعر :

ألا كل شئ ماخلا الله باطل

كفى الشعراء هذه الشهادة وحق عليهم أن يلهجوا بذكر رسول الله ﷺ وأن يعلموا أن آية الشعراء إنما قصدت أولئك الباغين اللاهين الذين لا يريدون للشعر وجه الحق ولا وجه الله ، حيث قال الله تعالى« والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

ثم كان الإستثناء « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

فرحبا أيها الشعراء بكم فى كلية اللغة العربية ، وباسمى وباسم إخوانى وباسم جامعتى وباسم هذه الكلية التى ترعى الشعر وتحب الشعر وتستمد من الشعر،وستعمل بإذن الله على إحياء الشعر،وعلى توجيهه الوجهة الصالحة التى تنفع العربية وتنفع الإسلام .

وشكراً لإتحاد كلية اللغة العربية عندما توجه إلى هذه الناحية، وشكراً للجنة الفنية فى هذا الإتحاد التى هيأت لنا هذا اللقاء العظيم الذى لا نشك فى أننا سنسعد فيه باستماعنا إلى الشعر الجيد فى ذكرى رسول الله ﷺ، وفى كل خير .

وكل عام أنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام

بلابل الروض فوق الدوح غنينا
وأسمعى الدهر أنغاماً وتلحينا

صوغى لنا من عبير الورد أغنية
وطعميها زهوراً أو رياحينا

ثم اصنعى من غصون البان لى وتراً
ابشبع السمع .. فالدنيا توافينا

فما كلفت بذات الخال أو سكنت
بين الفؤاد ظباء كالمحبينا

حتى أقول لها هاتى لنا درراً
من عقد نحرك ذات الدل واهدينا

فأبحر الشعر لا تكفى لآلئها
فى مولد « المصطفى » خير النبيينا

* * *

إنا لنى ذكريات لا يفى كلمى
ولا قريضك يا حسان يكفينا

هذا الرسول الذى قد هز مولده
إيوان « كسرى » رقلب المستبدينا

« ربيع » وافيت دنيانا بمشرقه
فهلل الكون واهتزت روابينا

« ربيع » وافيت دنيانا بطلعته
فاستقبل الكون خير الخلق « ياسينا »

* * *

هبت ملائكة الرحمن شاكرة
لله أنعمة .. خروا مصلينا
فالله أرسله للناس قاطبة
هدياً ونوراً وتبصيراً وتبيينا
لولاه ما سادت الدنيا ولا سعدت
ولا رأينا حدود الله تحمينا
ولا عرفنا صلاة كى تطهرنا
ولا زكاة .. مدى الدنيا تزكينا
ولا رأينا بيوت الله عامرة
ولا حججنا له بيتاً ملبينا
ولا قصدنا طوافاً حول كعبته
ولا وقفنا خشوعاً مستجيرينا
ولم نصم لك يا ربى — وما عرفت
غلف القلوب يتامى أو مساكينا

* * *

ذكراك يا « مصطفى » أحيت ضمائرنا
وأنبتت فى دمانا الحزم واللينا
ما أنت إلا إمام الرسل جئت لنا
بشرعة الحق للإسلام تدعونا

بسراك فيها حسام النصر مشرعة
وفى اليمين كتاب الله يهدينا
تدعو إلى العدل فى لين وفى خلق
تقضى على الظلم تشريعاً فيحيينا

* * *

بلغت بالزهـد والإيثار منزلة
علوت قدراً — فما كالزهد يعلينا
فالمال يا « مصطفى » أعمى بصائرنا
به غدونا عن الطاعات لاهينا
نكاد نعبده — والله يسره
كيما تسخره للخير أيدينا
وبالتواضع حب العالمين لكم
أضحى شعاراً وذكراً فى نوادينا
لكنه الجاه لم يترك لصاحبه
شيئاً سوى الكبر — ما كالكبر يردينا
المال والجاه للإسعاد قد خلقا
واليوم قد أصبحا شراً يواتينا

* * *

المال يا قوم أنتم تفتنون به
وسوف يفنى — وفعل الخير يبقينا
فسخروا المال للخيرات ينفعكم
فإن تولى — فإن الله يغنينا

المـال داووا به من عاش فى عـلل
كى ترحموه — فدين الحق يوصينا
وأطعموا كل مسكين وذى سغب
من غير من — إذا كنتم مواسينا
وأقرضوا الله قرضا كله حسنا
فالخزى والويل عقبى المرابينا
لا تكنزوا المال يوما فهو معصية
يوم القيامة هذا المال يصلينا

* * *

يارب إنا لنرجو منك مغفرة
بحق خير الورى — خير النبيينا
نرجوك عونا وإمداداً لأمتنا
فالعون منك — ومنك العفو يأتينا

شعر اللواء
محمد حلمى الزيات

مولد النور وحال الأمة

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

المدرس بالكلية

يا مالكا بجلال الحسن وجدانى

وآمرا بالهدى سرى وإعلانى

رفقا بقلب لهيب الشوق أحرقه

لم ينجه فى الهوى قاص ولا دان

وامنن عليه بوصل فيه بهجته ليستعيد حياة ذات أفنان

ففى رحابك تحيا النفس طاهرة

وفى جوارك من جنات رضوان

وأنت نور يضىء الكون أجمعه

ورحمة نال منها كل إنسان

صلى عليك بديع الخلق ماسطعت

شمس الخليقة أو مر الجديدان

* * *

ياسيد الخلق فى ذكراك يجمعنا

محراب علم وأخلاق وإيمان

لنقطف الزهر من بستان سيرتكم

ونجنى الهدى من آيات قرآن

أنوار ذكراك ياخير الورى سطعت

فنبهت بسناها كل وسنان

وعطرت بشذها الخلق قاطبة فطار يرفل فى روح وريحان

وشرفتنا بيوم كان مطلعه
على الورى فجر إصلاح وعمران

طلعت بدراً وقد تمت محاسنه وكنت باليتم فرداً ماله ثان

تعهدتك يد المولى بتربية لتنقذ الكون من جهل وطغيان

وتبعث الناس من موت أحاط بهم
بنور وجهك مصحوباً ببرهان

لما أتاك أمين الوحى مبتدأ
اقرأ كتاب الهدى من وحى رحمان

نهضت للدعوة الكبرى لتنشرها
بين الورى غير هياب ولا وان

* * *

هاج الصناديد لما قمت تنذرهم وقاوموك بسيل بل بطوفان

وساوموك على ترك البلاغ بما يغرى الخلائق من مال وتيجان

فقلت لن أترك التبليغ لو وضعوا
شمساً بكفى وبدراً كفى الثانى

فألجؤك لشعب لاحياة به وحاصروك بأسياف ونيران

فكنت كالطود لاتلويه عاتية ولا يلين لغارات وعدوان

وجاءك النصر فى أولى مراحله برحلة جبت فيها كل أكوان

سريت ليلا إلى الأقصى مجاوزه
إلى السموات محفوفاً برضوان

وهيأ الله للإسلام موطنه مدينة النور تسمو كل أوطان

تمكن الدين فى أرجائها وسرى يزهو ويبلغ ماحل الجديدان

ورفرف النصر وازدانت مواكبه
وزلزل الخزى من هاموا بأوثان

* * *

ياخالد الذكر نشكوا حال أمتنا
فوصفها معجز قولى وتبيانى

أرنو إليها بطرف العين فى أسف
فتعصر القلب آلامى وأحزانى

قد مزقتها سهام الخلف فى دول
وكل قوم جروا فى ذيل شيطان

تاهت معالمهم هانت عزائمهم خارت معاقلهم باءوا بخسران

واستأسدوا فى خلاف طاف بينهم
واستنوقوا فى جهاد ضد عدوان

ضاعت فلسطين والأبصار شاخصة
وقد تلتها ضياعاً أرض جولان

ودبت النار ترعى فى صفوفهم فجاء دور العدا فى سلب لبنان

لم تأتهم طعنات الخصم نافذة ويستخف بهم أشتات بلدان

حتى رأو أن ريح القوم قـــد ذهبت
وأظهروا عجزهم فى كل ميدان

فكان ما كان من هول يشيب له
شعر الوليد ... وحاميها هو الجانى

* * *

رحماك يا ربنا فى كل نازلة
إنا ضللنا فأدركنا بغفران
والطف بنا واهدنا واكشف لأمتنا
درب الفلاح ووفقنا لإحسان
واجعل حبيبك يوم الدين شافعنا
محمد يرتجيه كل إنسان
صلى عليك إله الكون ما سطعت
شمس الخليقة أو مر الجديدان

* * *

ابن الانسان

شعر : سعيد قايد

سكرتير جمعية الأدباء بدمنهور

الكون ظلام يستشرى . .

والنور سراب لايدرك

والناس جبال تتحرك

والعقل صحائف مطموسه

والرائد ضال أو مشرك

أو متشكك . .

يهذى لغوا . .

لا يثمر . . لا يغنى عقلا . . ! !

يبنى صنما

من طوب . . أو حجر صامت . .

ويردد : يارب . . ربى . .

أو يبنى صنما من عجوه . .

ياللأبله . . . ! !

ويردد : يارب . . ربى . .

فإذا ماجاع خلال الليل . .

قام فأكله . . ؟ !

أم مضحك . . . ياللجهله . . . ! !

* * *

البنت وضيئة بسمات
لاندرى أبيض أو أسود . .
لـكن الجاهل يوئدها . .
يخشى عاراً . . ! !
والعار يعشش فى جنبيه . .
والفسق سدود فى أذنيه
حيوان أعجم فى ساقيه . .
الخمر شراب لايروى
والخبز دماء قد نزفت من كل أجير . .
فالقرش بعشرة أمثاله . .
والمال بحافظة الساده . .
والسادة تجار شرهون . .
لايستمعون . .
أنات البائس والمحزون . .

* * *

والقوم دواماً يشتجرون
أو يقتتلون . .
من أجل خصال همجيه . .
من أجل امرأة بدويه
أو غجريه . . ! !
من أجل كلام قد حرف
من أجل مقالة متطرف
أو متظرف
الحرب تدمدم وتزمجر . .
وتثير النقع السام على كل الأنحاء

ويكون عناء . .
وتكون دماء
ويكون فناء
من غير غناء . .
فعل الدهماء . . . !!

* * *

الشمس ضباب
والقمر سراب
لكن الكون له رب
الرحمة فيه قد وسعت كل الأرجاء
يحنو بالناس ولا يرضى لهم الإذلال . .
لا يرضى أن يحيا قوم مثل القطعان . .
الأكبر يأكل أصغرهم من غير حياء
فأراد وأنجز مادون
فى لوح مشيئته المحفوظ . .
وإذا « أمنة » قد وضعت
ابن الإنسان . .
لا يقرأ لا يكتب لكن . .
قد أوتى نفحات الرحمن
قد جاء بمعجزة القرآن . .
وإذا بالدنيا قد لبست
ثوبا آخر . . .
ثوبا صنعته يد الفنان . .
ثوبا « لا يزرى بالإنسان . . !!

بين العلم والأخلاق عالم مضطرب

للشاعر الأستاذ / ربيع محمد مصطفى صادومه
المدرس المساعد بكلية اللغة العربية بدمنهور

ياعالم الإنس أذهلت الحجـا فينا
وأرتاعت العين ممـا حل يشجينا
حققت كل خيـــال عز مطلبه
حيناً من الدهر فاخضلت أمانينا
وازينت جيد هذا الدهر وأنتعشت
أخلافه فروت أحشاء صادينا
أبدعت علماً يحرك كل جـــامدة
وينطق الصم والخرســـان تلحينا
فأعجب الغر والمغرور واضطربت
أفكاره وغـــدت أخلاقه دونا
لكنه للذى القرآن مرجعه
مسبب والذى أمضاه بارينا
إذا الخوارق فى أسفارنا كتبت
من عهد أحمد تتلى فى أراضينا
فأين كان أولو الأفهام فى زمن
لمـــا أناخ بنا الإسلام يقربنا
من المنابر بث العلم فانبعثت
من الرغام عقول الآدمينا

وظل كالغيث مدراراً توجهه
بلاغة الوحى من خير النبيينا

ليت العلوم التى صيغت معالمها
تجلى الظنون وتمحو عن مآقينا
لكنها إن بدت بيضاء ناصعة
ففى يديها دمار سوف يردينا
تلك الحديقة إن أجدت بناحية
ففى نواح ستورى نارها فينا
والمالكون لها لا دين يرشدهم
ولا عقولا تعى للكون تأمينا
فارتدت العين بعد الأمن يوقظها
حمق الذين بنوا للعلم مسكونا
ياهيرشيما انطقى وارَوى مسامعنا
من ذا علاك؟ وألقى فوقك الهونا؟
ياقدس من حول المحراب مزدهيا
قطراً؟ يحيل دم الولدان غسلينا؟
بالسفك والفتك صاغ العلم تجربة
يجنى بها مهجاً يروى بها طينا

ياعالم الإنس سوف تظل مضطرباً
مادام دين الهوى للعلم قانونا
نفوسنا بيد النترون مصرعها
ليت النفوس التى بادت تواسينا
مسخر ودماء الآمنين قرى
ومصلت وبناة السوء لاهونا

لهم مناهج سود لاترى أملا
إلا الشرور فتكسوها الأفانينا

فالحرب باردة حتى يهيجها
كتائب البغى من أحفاد قارونا

وكلما عقدوا للسلم عقدهم
اخلولج العقد وانفضوا ثعابينا

هل الأفاعى لعهد الخير موفيه ؟
أو تعرف السلم والإصلاح واللينا ؟

هل تستريح لغير الغدر آونة ؟
أم هل تنام عن استقطابها حينا ؟

لها بكل مغانى الأرض أضحية
بكرا وما سلمت منها معانينا

هذى فلسطين أمست مرج عابثها
محا أسمها وعدا يطوى أراضينا

ياللعروبة ذلت بعد عزتها
شماء كانت لها الجوزاء عرنينا

يا عالم الإنس ما للأنس بارقة
لاحت لنابل صدى للموت ينعينا

متى وأين وفكر المالكين غدا
يساره فاحما ويمينه جونا

تسرى مذاهبه هونا مروضة
حتى تصادف فى الساحات مأفونا

يسعى بها ولها يبدى زخارفها
وغاب عن حلمه ما ظل مكنونا

مكر وغدر وشر لا قرار له
في ذرة شحنت سما وسجينا

شؤبوبها صاعق وضوؤها لهب
يشع في ساحة الثقلين مشحونا

أني النجاة وأقطاب القوى شيع
وأولياء النهى ضلوا الشياطينا

يحقق العدل بالقرآن حامله
وينشر السلم بالإسلام واليقنا

سلوا القرون عن الأمجاد تخبركم
بنوا وشادوا فكانوا خير بانينا

وأزهقوا الظلم والأيام شاهدة
يوما ببدر ويوما عند حطينا

لولا الحقوق لكان العلم متكئاً
للدين والدنيا لا للمضلينا

ليس الأمان أمان الإنس ما حكمت
بل الأمان إذا ما حكموا الدينا

دنيا

شعر : صلاح محمد عبد القادر غانم
المحاسب بالجهاز المركزى للمحاسبات

فى رحلة الأفراح والأنات … لاح البشير على طريق حياتى
كان السبيل إلى المحبة قد مضى … والشر زاد بكوكب الأموات
والباحثون عن الحقيقة قلة … والظامئون إلى الهدى بفلاة
والثابتون على الهداية أرهقوا … من هول أحزان المصير الآتى
« يامصطفى » جاء الخريف وبعضنا … فى حانة الأقدار والملهاة
تاه السبيل إلى الجنان ولم نزل … نرتاح فى تيه إلى الطعنات
والحج أمسى يارسول تجارة … فى شرعة الأطماع والعلات
والصوم فى شهر الكرامة لم يعد … يحمى من الأوزار والزلات
والقوم ماعاد الضمير يؤمهم … تاه السفين ولم أجد مرساتى
والمسلمون تصارعوا مثل الألى … عاد الجهول لشرعة الفلوات
لا يرهب الأعداء منا جمعنا … حب الحياة وسيلة لموات
فالقوم ماعاد الرجيم يضلهم … كل هداه الوهم للظلمات
إبليس عاد عن الغواية واهتدى … من هول مالاقى من العثرات
« يامصطفى » قدر الشفاعة قد نما … والقوم فى لهو عن الصلوات
والذين إن دارت عليه دوائر … فالموت أبقى للشقاء العاتى
عادت ثمود إلى الجدال وعادها … وهم رماه الجهل فى المأساة
عد بالأمانة ياحبيب نزفها … كى نرتوى من ريها بعظات

فالأرض ضاقت ، والقلوب تمزقت
والعين فى شـــوق إلى العبرات

فى ذكرك الحب الطهور فهاته
أمحو به الأوزار عن أناتى

أدعو إلهى أن يجيب ضراعاتى
والدمع فى قلبى وفى كلماتى

أن يهتدى قومى ويقوى جمعهم
بالحب والإيمان والبركات

فالدين فى قلب البرية درة
ماساء درا ظلمة الصدفات

يانور

أحمد درويش
أستاذ اللغة العربية

يانور ماذا قد يقول لسانى وضياك فتان السنا ربانى
يانور ياسر الوجود وروحه والمسكن الأسمى عن العرفان
يانور يامن قد اهدى إشراقه ركب الحياة وموكب الأزمان
يانور إنى فى حماك لعاجز
عن وصف سر جلالك الروحانى
أنا قد عجزت وليس عيباً أن يرى
عجزى أمام مجسم نورانى
وأنا الضعيف فكل أمرى أننى من طينة فى صورة الإنسان
ومكانى الأرض التى أحيا بها ومكانك الأسمى رفيع الشان
قل لى وكيف ؟ وكيف أرقى للعلا
وأطوف حول منابع الرحمن
هيهات أن أرقى لمنبع نوره شتان بين مكانه ومكانى

يانور والدنيا ظلام حالك والشرك يحدو دجوة البهتان
صحراء تضرب فى ضرير الليل لاتدرى مدى لنهاية الحيران
ضلت سفينتها بليل آثم ياشوقها للنور والشطان
وبريئة لماتزل بين الثرى مذهوله مماجرى وتعانى

ما ذنبها ؟ وهى التى لما تزل   طفلية الأحلام والتبيان
راحت ضحية من تبدى قلبه   أقسى من الجلمود والصوان
والحرب لاتدرى الهوادة ساعة   والكأس طافحة بكل مكان
وشريعة خرقاء تحكم بينهم   لا عدل فيها قائم الميزان
الملك فيها للقوى قبيـــلة   أما الضعيف فمالك الأذعان
كشريعة الغاباب تأكل بعضها   والذئب فيها سيد الخرفان
ومهازل تترى إزاء مهازل   ومتاهة كمتاهة العميان
وضراوة البغى العنيد ، وظلمة   وتخبط الشيطان فى الشيطان
والكون أمسى فى حنين دائم   تبدو عليه دلائل اللهفان
ويطل نورك يا محمد ساطعاً   يرتج فى عنف له الثقلان
فتبدل الأزمان والدنيا معاً   ويدك صرح البغى والطغيان
ونرى لهذا الكون وجهاً آخرا   يامنقذ الدنيا وآمن العانى

يا نور لما قد سطعت تساءلوا   آه وفيهم دهشة الحيران
ما هذه الأضواء تدفق ثرة   فياضة تمحو دجى البهتان
ما هذه الأعراس تزخر بهجة   مياسة فى ثوبها المزدان
ماذا جرى بين السماء فزينت   واهتز كون الله كالنشوان
ما سحر مكة ؟ ما بديع ردائها   ما تيهها فى سائر البلدان
ما سكرة الربوات ما نشواتها   ما رقصة البطحاء فى هيمان
ماعرش كسرى ؟ ماتزلزل ركنه   وقوامه وتصدع الايوان
ما ماء ساوة ؟ ما نضوب معينها   ماذا جرى يا ربة الفيضان
ما نار فارس ؟ ما خمود أوارها   ماذا دها مشبوبة النيران

ياقوم كفوا عن سؤالكم كفى ... ما قد جنيتم فى دفا الهذيان
النور نور محمد وضياؤه ... ومنارة الرحمن فى الأزمان
وهدية الله العلى لكونه ... ولنعم ما أهدت يد الرحمن

يانور إنى عن مديحك عاجز ... أنا من أنا حتى أحل مكانى
كل الذى أملاه فيض مشاعرى ... لا شىء بين ضيائك الفتان
وقصيدتى ماذا تكون قصيدتى ... ماشأنها فى روضك الفينان
فلو أن شعرى من جمان ناصع ... أو من يتيم الدر والعقيان
أو من نجوم زاهرات تزدهى ... سحرية الأضواء واللمعان
أو أننى كنت الفصاحة ذروة ... والقمة العلياء فى التبيان
ما كان شعرى بالمؤدى جانباً ... يابن العلا ياملهم الفنان

بك يارسول الله يانور الورى ... سعد الخلائق من بنى الإنسان
أنقذتهم من بين أنياب الدجى ... وبراثن الإذلال والأحزان
ورفعتهم للقمة العلياء فى أمن ... وإسعاد وأى أمان
بين الحنو المستفيض رحيمة ... نعماك من حان وأرحم حان
حيث الهدى .. أشهى هدى ... أحلى هدى فى روضة القرآن

يانور ماذا والحنين بأضلعى ... نار تحرق مهجتى وكيانى
ما أعظم الذكرى وإذ تهتاجنى ... تهتاج جمر الشوق فى وجدانى
ياليتنى قد كنت طيرا سابحاً ... فى الجو يدفعنى هواك الحانى
لأطوف حولك يارسول مرتلا ... باسم الأنام ملاحم الشكران
وأعب من نور سماوى السنا ... وأغيب فى دنيا من الرضوان

وأعيش فى الوردى من حلمى ومن رؤيا كأبدع مارأت عينان

وأرى هنالك يارسول تضرعى وتوسلى روحين يستبقان

وأقول ملهوف أتاك مؤلها من مصر جاء وهذه الجانى

وقصيدتى شوق ولهفة مغرم تنبيك عن حبى وعن تحنانى

وأظل حولك ما حييت مردداً حلو النشيد بروضك الفينان

رباه هذى منية من عاشق فأجب رجاء العاشق الولهان

تهنئة وتكريم

قبضات صادرة من القلب ، تزف أرق التهانى إلى إستاذنا الدكتور عبد الله ربيع محمود بمناسبة نيله درجة الأستاذية ...

للشاعر الدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن

العلم نور من الرحمن قد وافى يحيل غيهب هذا الكون شفافا

ويمنح المرء تاجا لا يعادله

تاج الملوك حوى ماسا وأصدافا

فإن كسيت برود العلم سابغة فكن على ذروة الأخلاق وقافا

فالعلم بحر على الأخلاق نسبحه وخارق الفلك يلقى اليم جرافا

يا عاشق العلم والأخلاق ديدنه وقد أمده الرحمن ألطافا

يازهرة فى « دملو » فاح عاطرها

فهز من طيبها الأحياء أعطافا

اليوم يجمعنا عرفان فضلكم من لم يكرم حماة العلم قد حافا

لما سموت لأستاذية وفدوا مباركين للحن الفرح عزافا

وما شرفتم بها لكن بكم شرفت

هذا هو الحق إن أولوك إنصافا

فأنت بحر وقد عمت فضائله

وزدت فى الفضل بالأخلاق أضعافا

أعليت كلية الفصحى مرفرفة بحمى دمنهور تؤتى الخير أصنافا

وهمت فى حبها حتى غـــدت حرما
يسعى إليه حجيج العلم ألفافا

بوركت يابن ربيع إن جهدكم
قد أذهل الناس أغرابا وألافا

قد غصت فى درر الأصوات تبرزها
وزحت عن لهجات العرب أسدافا

وقمت فى كعبة الأسلاف مجتهدا
تولى بيان أبى عثمان أكنافا

فنلت مانلت فى نفس مكرمة
لم تطلبوه مجاملة وإلحافا

فسر بنا نحو خير الضاد منطلقا
ودم بمحراب بيت العلم عكافا

أعطاك ربك توفيقا ومقدرة
حتى تظل لسر العلم كشافا

تهنئة وبشرى

إلى الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود

بمناسبة نيله عن جدارة درجة الأستاذية

فى أصول اللغة

للشاعر الأستاذ / ربيع محمد مصطفى صادومة

المدرس المساعد بكلية اللغة العربية

قسم أصول اللغة

١ – أبنت الضاد ياخير اللسان
تدلى واسمعى عذب البيان

٢ – مصفى زانه البشرى لفذ
كريم الأصل ممدوح المعانى

٣ – فعبد الله محمود ربيع
فتاك جنى مفاديد الجمان

٤ – ونال مقاعد الأستاذ أهلا
أشم الأنف معتز الجنان

٥ – مسابك فى البيان فصار ندا
وصاغ ملامح البكر الحصان

٦ – سلى اللهجات والأصوات عنه
وإن شعار مركبه التفانى

٧ – فإن مداده بحر محيط
وآلات اليراعة والبنان

٨ – يمد الباحثين بكل ضوء
إذا خفتت شموع النيران

٩ – وينهض بالمكب ويفتديه
ويسلك بالجد ربا الأمان

١٠ — ويجزم حين لا يجدى سخاء
ويسخو حين تنعقد اليدان

١١ — ويأسى كلما زاغت وشفت
عن الفصحى صعاليك الزمان

١٢ — أحبك والأدلة ناطقات إذا عجزت سبيل الترجمان

١٣ — فأنت بمثله فى خير حصن
وبالدخلاء فى جب الهوان

١٤ ألا جوزيت يا أستاذ عنها وظلت ترد عنها كل جانى

١٥ — فلا ترض الذرا إلا محلا
فإن السفح بيت الأفعوان

فى موكب الهادى البشير

للشاعر : عطية جمعه هارون
المفتش بالأزهر

نور .. ولكن أى نور ؟ وهــــدى .. على مر العصور
وملائك الرحمن .. بالبشرى .. تطوف .. وبالعطور
والكون .. كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. فى سرور
صـــلوات ربى .. حائمات فى العشى .. وفى البكور
ترنيمة الحب .. الكبير .. ترف .. فى الساح الطهور

فى الساحة .. الخضراء .. يغمرنى .. الضياء من البشير
فأهيم مشدود .. الرؤى .. وأطوف .. مشبوب الشعور
يا رحمـــة ... للعالمين .. ويا شفاء للصـــدور
ذكراك .. عطر .. ضمخ الأرجاء .. علوى العبير
وسنا .. يمزق عاتى الديجور .. فى ليل الشرور
يا كوكبا .. غمر الوجود .. وشع .. فى الكون الضرير
يا منهلا .. أروى العطاش .. وفاض بالعذب النمـــير
يا واحة خضراء .. من أجل .. المعذب .. فى الهجر
يا جنـــة فيحاء .. للمقهور .. فى حـــر السعير
يا خصب عالمنـــا .. الجديب .. يفيض .. بالخير .. الوفير
الكون .. كل الكون .. يهتف يا محمـــد .. فى سرور

صلوات ربى .. حائمات .. فى العشى .. وفى البكور
ترنيمة الحب .. الكبير .. ترف .. فى الساح الطهور

حررت .. دنيا الناس .. من رق .. الجهالة .. والغرور
وكسرت .. قيد الذل .. يا بشراه .. للعانى الأسير
فالكل .. للديدان .. يعنو .. فى الخفاء وفى الظهور
والكل فى المحراب .. يخشع .. والأجير .. مع الأمير
ومشى .. على درب .. من الحب .. الغنى مع الفقير
دين يقام .. وأمة الإسلام .. فى زمن قصير
بالوحى .. بالقرآن .. بالهدى .. المنير .. المستنير
بالسيف .. فى ساح الجهاد .. يرد عادية .. المغير
بكتائب الرحمن .. يستبق .. الكبير .. مع الصغير
وهديرها .. الصوت المدمدم .. فى الحواضر .. والكفور
الله أكبر .. يا خيول الله .. سيرى .. ثم سيرى
مرفوعة .. الرايات .. والهامات .. فى الزحف الخطير
دومى .. على ما شيد .. الطغيان .. من .. .. وزور
دومى .. على الأكذوبة .. الكبرى .. وهيئة .. الفجور
لتخر .. صرعى بغيها .. وتذوب .. فى المد الكبير
والكون .. كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. فى سرور
صلوات ربى .. حائمات .. فى العشى .. وفى البكور
ترنيمه الحب .. الكبير .. ترف .. فى الساح .. الطهور

الله أكبر .. جرسها الرنان .. فى سمع .. العصور
أحيت .. موات الأرض .. فاخضرت .. مع الأمل .. النضير
وتحرك .. الموتى .. وقد هبوا .. إلى صوت .. النذير
من بين .. أقبية الكهوف .. وتحت .. أطباق القبور
وتقهقر .. الشيطان يدعو .. بالهلاك .. وبالثبور
وتهاوت .. التيجان .. والأوثان .. من صوت النفير
والأرض .. قد غسلت من الأدناس .. بالنور الطهور
فالكون طهر .. والمساجد .. والمآذن .. فى حبور
والخاشعون .. صلاتهم .. تسبيحة الكون الكبير

يا أمتى .. سودى بآيات الكتاب .. ولا تحورى
وخذى من الإسلام حصنك .. فى الرواح .. وفى البكور
سيرى .. على منهاجه .. فالخير .. فى هذا السير
والكون كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. فى سرور
صلوات ربى .. حائمات .. فى العشى .. وفى البكور
ترنيمة الحب .. الكبير .. ترف .. فى الساح الطهور

جولة فى رياض الكلية

إعداد الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

أيها القارىء الكريم :

من الواجب علينا أن ندعوك لجولة فى ربوع الكلية ورياضها ، لتتعرف على كليتنا الفتية التى تصدر هذه المجلة الغراء ، وتطلع على بعض النشاطات التى تجرى فى رحابها ، وتدور بين أروقتها ، وتشرق أشعتها على ربوع إقليم البحيرة وماجاوره من أقاليم مصرنا الحبيبة .

لقد برزت هذه الكلية إلى الوجود بعد جهود مضنية استمرت عاما كاملا عمل فيه الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود ، عميد الكليه ، ليلا ونهارا على أن تولد هذه الكلية قوية شابة ، مستمدا العون من الله عز وجل ، ومستندا إلى الجهود العظيمه التى بذلها المسئولون فى محافظة البحيرة ، وعلى رأسهم السيد الوزير المحافظ محمد لبيب زمزم ، ومدفوعا بالدعم الكبير من رئاسة جامعة الأزهر العتيدة .

وفى أوائل العام الجامعى ١٤٠٢هـ — ١٤٠٣هـ — ١٩٧٢ — ١٩٨٣ م ، استقبلت الكلية طلاب السنة الأولى ، وسط حفاوة بالغة ، وفرحة كبرى علت وجوه قادة الجامعة ، وقيادات المحافظة ، ومواطنى هذا الإقليم العزيز .

والآن وبعد مرور ثلاث سنوات على بدء الدراسة بالكلية ، نقف لنرصد ماتم من إنجازات ، ولنطلعك على ما قطعته الكلية فى طريق النجاح ودرب الفلاح .

أولا — الطلاب :

وصل عدد طلاب الكلية فى هذا العام الجامعى ٨٤—١٩٩٥ قريبا من خمسمائة وألف طالب موزعين على السنوات الأولى والثانية والثالثة .

ومما هو جدير بالذكر ، أن طلاب الكلية يفدون إليها من عدة محافظات ، هى : البحيرة والاسكندرية، ومطروح ،و كفر الشيخ ،والغربية وهذه المحافظات عامرة بالمعاهد الأزهرية التى يؤمها آلاف الطلاب، ومن ثم فإن المستقبل يبشر بزيادة أعداد الطلاب فى هذه الكلية ، زيادة كبيرة وهذا يقتضى من المسئولين المسارعة بإقامة المنشآت الخاصة بفرع الجامعة بدمنهور ، على المساحة التى خصصتها المحافظة لهذا الفرع الزاهر ، وذلك لمواجهة الزيادات المطردة فى أعداد الطلاب ، والتى ضاق بها المقر الحالى الذى أهدته المحافظة للجامعة .

ثانيا — هيئة التدريس :

كان من فضل الله على هذه الكلية أن أكرمها بنخبة جليلة من أعضاء هيئة التدريس على الرغم من حداثتها .

ويرجع هذا إلى إخلاص الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية ، وتفانيه فى العمل ، وحرصه على مصلحة الجميع دون محاباة أو مجاملة .

وفى الكلية خمسة أقسام علمية هى :

١ — قسم أصول اللغة :

ويرأسه الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية .

ويضم نخبة من المدرسين والمساعدين وهم :

١ — الأستاذ عبد الفتاح أبو الفتوح ، وهو الآن قد انتهى من طبع رسالة الدكتوراه ، وفى أنتظار المناقشة وموضـــوعها : لزوم ما لا يلزم لأبى العلاء المعرى . دراسة دلالية . (تمت المناقشة فى ٤-٥-١٩٨٥)

٢ — الأستاذ أبو السعود الفخرانى ، وقدمنحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة الدكتوراه . فى بعثة داخلية .

٣ — الأستاذ محمد سعد أبو عبا .

٤ — الأستاذ ربيع محمد صادومة .

٢ — قسم البلاغة والنقد :

ويرأسه الأستاذ الدكتور صباح عبيد دراز الأستاذ المساعد بالكلية.

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور محمد حسن حجازى .

٢ — الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت .

ومن المدرسين المساعدين :

١ — الأستاذ حسن خيمر ، وقد انتهى الآن من طبـــع رسالة الدكتوراه وفى انتظار المناقشة .

٢ — الأستاد رفعت السودانى .

ومن المعيدين :

الأستاذ على محمد العطار .

٢ — الأستاذ مصطفى عطية سلمى .

٣ — الأستاذ محمد عبد العليم .

كلمة وفاء :

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن قسم البلاغة والنقد أن نذكر أستاذا فاضلا ، وعالما عاملا ، وأخا صالحا ، هو المرحوم الدكتور محمد حميدة سرور ، الذى كان أول مدرس يعين فى هذا القسم ، فحمل أعباءه ، وجاهد فى تكوينه حق الجهاد ، وكان ينوى مداومة الجد من أجل النهوض به ، لولا أن أخذته يد المنون ، وجاءه القضاء المحتوم ، فآب إلى ربه راضيا مرضيا .

وقد ترك بوفاته جرحا عميقا فى قلوب جميع العاملين بالكلية ، نظرا لما كان يتمتع به من وقار الصالحين ، وعلم المجتهدين ، وإخلاص المؤمنين .

فرحمة الله رحمة واسعة ، وأحله منازل الرضوان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

٣ — قسم اللغويات :

ويشرف على هذا القسم الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية .

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور متولى البغدادى .

٢ — الدكتور على أحمد زايد .

ومن المدرسين المساعدين :

١ — الأستاذ إبراهيم العجمى .

٢ — الأستاذ أحمد خالد ، وقد منحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة الدكتوراه ، فى بعثة داخلية .

٣ — الأستاذ محمد عبد الحليم سليمان .

٤ — الأستاذ أبو الفتوح الغمرى .

ومن المعيدين :

١ — الأستاذ طه محمد حسن

٤ — قسم الأدب والنقد :

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور محمد سيد أحمد داود .

٢ — الدكتور عبد المنعم يوسف .

٣ — الدكتور حلمى حسن أبو العز .

٤ — الدكتور محمد كريم .

ومن المدرسين المساعدين :

١ — الأستاذ أحمد خليل .

٢ — الأستاذ رزق داود . وقد منحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة الدكتوراه ، فى بعثة داخلية .

ومن المعيدين :

١ — الأستاذ أبو المعاطى محمد أبو المعاطى .

٢ — الأستاذ صابر إبراهيم عمر .

٥ — قسم التاريخ :

ويرأسه الأستاذ الدكتور أحمد البهى الحفناوى الأستاذ المساعد بالكلية .

ويضم من السادة المعيدين :

١ — الأستاذ فرج الأحول .

٢ — الأستاذ أنس هارون .

٣ — الأستاذ سعيد أبو بكر .

٤ — الأستاذ سعيد جاد .

ومما يستحق التنويه به أن هذه النخبة الفذة من أعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين والمعيدين ، يعملون بجد وإخلاص ويتعاونون للوصول بهذا الصرح إلى المكانة المرجوة له ، بأن يكون منارة للإسلام ولغة القرآن الكريم فى شمال مصرنا الحبيبة ، تبث هديها وتمد شعاعها إلى أوطان الإسلام والمسلمين فى أرجاء المعمورة .

تعاون الكلية مع الكليات الأخرى :

ولم تبخل الكلية على الكليات التى تطلب منها المساعدة فى المجالات التعليمية ، فأمدت كلية الشريعة والقانون بدمنهور ، بأعضاء هيئة التدريس الذين تحتاجهم للقيام بتدريس اللغة العربية المقررة على قسم الشريعة الإسلامية .

وأمدت كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية ،

وكليه التربية بجامعة المنوفية ، وكلية اللغة العربية بالمنصورة بالأساتذة الذين ساهموا بجهود مشكورة فى التدريس بها .

ويتولى الأستاذ الدكتور أحمد البهى الحفناوى الإشراف على قسم التاريخ بكلية اللغة العربية بالمنصورة .

وبهذا تبرهن الكلية على صدق تعاونها مع الكليات الأخرى فى تغطية حاجتها من أعضاء هيئة التدريس .

ثالثا : الجهاز الإدارى :

تتمتع الكلية بوجود جهاز إدارى يحرص على تسيير الأعمال المنوطة به ، ويتسم بالحيوية والنشاط ، ويتكون على النحو التالى :

١ — مدير إدارة الكلية :

الأستاذ سعد محمد باشا .

٢ — الشئون الإدارية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ محمد عبد الجليل .

٣ — الشئون المالية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ رمضان القزاز .

٤ — الشئون التعليمية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ عبد الفتاح الشرنوبى .

ويوجد فى كل قسم من هذه الأقسام عدد من الإداريين الأكفاء الذين لا يدخرون وسعا فى خدمة الكلية والعاملين بها .

رابعا : مكتبة الكلية :

على الرغم من حداثة الكلية إلا أنها تفخر بوجود مكتبة زاخرة بالكتب القيمة ، عامرة بما يلزم الطلاب والباحثين من مصادر ومراجع فى مختلف نواحى المعرفة .

وقد بلغت جملة الكتب فى هذه المكتبة : حوالى خمسة آلاف كتاب

منها الكتب الإسلامية ، والكتب التاريخية ، والكتب الأدبية ، والكتب البلاغية والنقدية ، والكتب اللغوية ، والمعاجم على اختلاف مدارسها ، ومجلات مجمع اللغــة العربية ، ومحاضر جلساته وقراراته ، ويقتنص القائمون على أمر الكلية كل فرصة ليزودوا مكتبتها بأحدث ما تخرجه المطابع ، وتظهره دور النشر .

ودور الأستاذ الدكتور عميد الكلية فى هذا المجال أكبر من أن تترجم عنه الكلمات ، فأمله الكبير . ومنيته العظيمة ، أن يرى مكتبة الكلية معلما من معالم الثقافة فى محافظة البحيرة ، ومركزاً للاشعاع العلمى فى شمال مصرنا الحبيبة .

ولا ننسى دور الأستاذين الفاضلين ، الأستاذ حسن مخيمر ، والأستاذ محمد سعد أبو عبا المدرسين المساعدين بالكلية . حيث تطوعا لخــدمة الباحثين والطلاب ، فقاما بإعداد المكتبة للقراءة ، والإعارة وأشرفا على تصنيفها وترتيبها ، فجزاهما الله خير الجزاء .

خامسا : اتحاد الطلاب ورعاية الشباب :

يتم فى كل عام تكوين اتحاد للطلاب ومجلس للإشراف على النشاط فى الكلية وذلك بالإنتخاب الحر النزيه حيث يترك للطلاب الحرية الكاملة فى اختيار من يمثلونهم فى هذا الاتحاد .

وقد تم تشكيل الاتحاد هذا العام على النحو التالى :

١ — الرائد العام للشباب :

يتولى الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود رئاسة مجلس النشاط واتحاد الطلاب .

٢ — اللجنة الثقافية :

ورائدها الدكتور عبد المنعم يوسف .

٣ — اللجنة الاجتماعية :

ورائدها الدكتور محمد سيد أحمد داود .

٤ — لجنة الجوالة :

ورائدها الدكتور على أحمد زايد .

٥ — اللجنة الرياضية :

ورائدها الدكتور محمد متولى البغدادى .

٦ — لجنة الأسر :

ورائدها الدكتور محمد حسن حجازى .

٧ — اللجنة الفنية :

ورائدها الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن .

ولكل لجنة من هذه اللجان أمين وأمين مساعد من الطلاب وللاتحاد أمين عام منتخب من الطلاب وهو فى هذا العام الطالب السيد محمد العطار الطالب بالسنة الثالثة .

٧ — مكتب رعاية الشباب :

وهو همزة الوصل بين مختلف اللجان وتقع عليه أعباء التنسيق للنشاطات ، وتدبير الميزانية اللازمة لها ، وغير ذلك من الأعمال الكثيرة المنوطة به .

ويتولى رئاسة هذا المكتب الأستاذ صابر جويدة ، وهو معروف بهمته وتفانيه فى العمل ، ونشاطه الدائب .

سادسا : نشاط الكلية :

ليس من السهل على ذاكرتنا أن تحصى لك كل النشاطات العديدة التى مارستها الكلية هذا العام .

فلقد برز نشاطها مشعا فى كل مجال ، وفاض عطاؤها متدفقا فى كل ناحية ، وحملت رسالة الأزهر الخالدة إلى ربوع محافظة البحيرة وما حولها .

فى المجال الثقافى والفنى :

تم افتتاح الموسم الثقافى بمحاضرة جليلة للأستاذ الدكتور عبد الله

ربيع محمود عميد الكليه وكان موضوعها : من نحن ؟ وما دورنا فى عصر التقنيه والعلوم ؟

وتوالت المحاضرات الثقافية كل أسبوع ومنها :

١ — محاضرة للدكتور على زايد وموضوعها : اللغه والحضارة .

٢ — محاضرة للأستاذ الدكتور صباح عبيد دراز وموضوعها : الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم .

٣ — محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ كمال عون وموضوعها : الطلاق فى الإسلام .

وقد شرفت هذه المحاضرة بحضور الأستاذ الدكتور رشاد خليل عميد كليه الشريعة والقانون .

٤ — محاضرة للأستاذ الدكتور إبراهيم الخولى وموضوعها : فكر الدكتور محمد البهى

كما ألقى أساتذة الكلية بعض المحاضرات العامة فى قاعة المركز الثقافى بدمنهور ، وقاعة مركز النيل للإعلام ، ومن ذلك محاضرة الدكتور عبد المنعم يوسف فى قصر ثقافة دمنهور عن الغربة فى شعر شوقى .

وتوج الموسم الثقافى والفنى بالمهرجان الشعرى الكبير الذى أقيم بمناسبة المولد النبوى الشريف ، وقد حوت هذه المجلة بعض القصائد التى قيلت فيه .

كما تم تشكيل فريق مسرحى ، ينتظر منه القيام بنشاط مسرحى بارز فى القريب العاجل إن شاء الله .

وما أكثر الصحف الحائطية ، واللوحات الفنية التى كانت منبرا يعبر عن الرأى الهادى والفكر المنير ، ويحمل نتاج الشباب إلى زملائهم .

وفى المجال الرياضى :

قامت الفرق الرياضية فى الكلية بالتدريب ، وإقامة المباريات ، والانتظام فى دورى الجامعة ، وتحتاج الكلية إلى ملاعب خاصة بها ليتمكن الطلاب من ممارسة نشاطهم بحرية تامة .

وفى المجال الكشفى :

قام فريق الجوالة بالكلية بعمل معسكرات مختلفة ، وتدرب تدريبا كافيا وكان من نتيجة ذلك أن حصل على المركز السابع فى الجامعة ، وفاز بدرع الجامعة على الرغم من قلة الإمكانات المتاحة نظرا لحداثة الكلية .

وفى المجال الاجتماعى :

تم بحث حالات الطلاب ، وتوزيع المساعدات المادية ، التى تمنحها الجامعة ، وتوزيع المكافآت المقررة لطلاب كلية اللغة العربية .

كما تم صرف القروض ، والدعم الخاص بالكتاب الجامعى ، وتوزيع الكتب على بعض الطلاب المستحقين .

وقام الطلاب ببعض الرحلات ، ومنها رحلة إلى بور سعيد .

وفى مجال الأسر :

تم تشكيل عدد من الأسر الطلابية التى كان لها نشاط بارز فى مجالات متعددة .

وقد قامت أسرة الأعلام بعمل أسبوع داخل الكليه للدكتور

محمد البهى ابن البحيرة ، وعقدت الندوات لمناقشة فكره ، وأقيمت مسابقة وزعت فيها الجوائز على الفائزين .

كما قامت هـذه الأسرة بعمل قافلة دينية إلى بلدة قبيرة ، تم فيها عمل مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بـين أبناء البلدة ، ووزعت جوائز على الفائزين ، كما ألقيت المواعظ الدينية ،وقد أشرف على هذه القافلة الدكتور محمد حسن حجازى والأستاذ على العطار والأستاذ محمد عبد الحليم سليمان .

قافلة التوعية الإسلامية والخدمات الصحية :

بالتعاون البناء مع الإدارة العامة لرعاية الشباب والخدمة الاجتماعية بالجامعة قام فرع الجامعة بدمنهور بتوجيه قافلة دينية طبية ، جابت قرى محافظة البحيرة ، وقدمت العلاج الجسمى والروحى للمواطنين ، وذلك فى الفترة من ١١/٣/١٩٨٥ إلى ١٨/٣/١٩٧٥ .

ولقد قامت القافلة الطبية القادمة من كلية طب الأزهر بمسح طبى شامل لمعظم قرى المحافظة ، وأحسن الجميع بما قدمته من خدمات جليلة ورعاية خالصة للمواطنين .

وقامت القافلة الدينية المكونة من هيئة التدريس بكلية اللغة العربيه ، وهيئة التدريس بكلية الشريعة والقانون ، بإلقاء المحاضرات الدينية، وحل المشاكل الاجتماعيه ، وإجراء المسابقات فى حفظ القرآن الكريم فى معظم قرى المحافظة ، ووزعت الجوائز والمكافآت على الناجحين فى هذه المسابقات وعرفت المواطنين بخدمات الأزهر الجليلة على المسلمين ، ودعتهم إلى التسابق فى حفظ كتاب الله الكريم وإلحاق أبنائهم بالأزهر الشريف وجامعته العتيدة .

واختتمت هذه القافله الميمونة بحفل مشهود تم فى يوم الاثنين ١٨/٣/١٩٨٥

وقد حضره السيد الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر والسيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى نائب رئيس الجامعة لشئون الفروع والسيد الوزير المحافظ محمد أبيب زمزم والسيد الأستاذ أبو زيد منصور المدير العام لرعاية الشباب بالجامعة وجمع غفير من قيادات المحافظة، ورجال الأزهر والأوقاف والتعليم والصحة وغيرهم.

وقد وزعت فى هذا الحفل جوائز على أعضاء القافلة والمساهمين فى نشاطها وعدد من طلاب القرى الذين يحفظون القرآن الكريم.

وقد أبدى السيد المحافظ إعجابه بهذه القافلة، وأثنى عليها ثناء بالغا، وطلب من السيد الأستاذ الدكتور رئيس الجامعه أن يعمل على تزويد المحافظة بالقوافل باستمرار، وتعهد سيادتة بتقديم كافة المساعدات من المحافظة لإنجاح هذه القوافل.

ومما لا شك فيه أن هذه القافلة وغيرها من القوافل التى وجهتها جامعة الأزهر هى التطبيق العملى لرسالة الأزهر الخالدة فى نشر الإسلام والنهوض بالمسلمين.

يوم الطالب وختام النشاط :

لما كانت الجهود المبذولة من جميع العاملين بالكليه تهدف إلى تحقيق مصلحة الطلاب، وتذليل طريق العلم أمامهم فقد أقامت الكلية فى ختام نشاطها يوم الطالب وكان ذلك فى يوم السبت ١٩٦٥/٤/٦، حيث التقى فيه الطلاب بأساتذتهم، فكان مشهدا رائعا صور احتضان الآباء للأبناء، واحتفاء الأبناء بالآباء، فى جو من الألفة والمحبة والود والصفاء.

وقد تحدث فى هذا اليوم الأساتذة والطلاب، فى صراحة تامة وعبر كل عما يجول بخاطره، وما يدور بخلده.

وقام الطلاب بتكريم أساتذتهم ، وفاء وتقديراً لما بذلوه من جهود في تعليمهم وتقويمهم .

كما قام الأساتذة بتكريم أبنائهم وقدموا للمتفوقين منهم في مجال الدراسة والنشاط بعض الجوائز التي تحفزهم للعمل المتواصل ، والجد الدائب ، ليحققوا آمالهم وآمال أمتهم فيهم .

وبعد : فقد وصلنا بك أخي القارىء إلى نهاية هذه الجولة التي تعرفت فيها على كثير مما يدور في أروقة هذه الكلية الفتية .

وإذا كنا قد أطلعناك على كثير من أوجه النشاط في هذه الكلية ، إلا أننا نعتبر أنفسنا مقصرين ، عن بلوغ الهدف الذي ننشده .

وعذرنا أننا في بداية الطريق ، وما بذلناه كان غاية جهدنا ، ولا نطمع من ورائه إلا في رضا الله عز وجل ، ولا نرجو إلا دوام توفيقه وحسن مثوبته .

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب .

فى رحاب كلية اللغة العربية بدمنهور

إعداد

دكتور / عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم

منذ أنشئت هذه الكلية الفتية فى فرع جامعة الأزهر الشريف بالبحيرة وهى مستمرة فى العطاء على درب العمل المتواصل استكمالا للمسيرة وللجهود المبذولة فى إتمام هذا الصرح الشامخ فى شمال مصر .

ومن أهم الدعائم التى يقام عليها هذا الصرح هيئة التدريس التى بها تبنى النفوس وتهذب العقول لإخراج جيل مؤمن متميز فى تحمل مسئوليته كخريج لهذه الجامعة العريقة جامعة الأزهر .

ولكى نتبين مدى العطاء ، ونقف على إتمام هذا البناء ، والقرب من اكتمال هذا الصرح التعليمى متمثلا فى هيئة التدريس سنذكر الرسائل التى نوقشت فى الأقسام المختلفة بالكلية بدرجتيها العالمية « الدكتوراه » والتخصص « الماجستير » وذلك حسب أسبقية المناقشة :

أولا : رسائل العالمية « الدكتوراه » :

— ١ —

الاســـم : دكتور / أحمد محمد السعيد قافح .

التخصص : مدرس بقسم اللغويات .

الموضـــوع : دراسة وتحقيق الجزء الخامس من شرح الشاطبى على ألفية ابن مالك .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٥/٩ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم حسن مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرازق البسيونى عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / محمد كامل جمعة عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٢ —

الاســـم : دكتور / محمد حسن حجازى .

التخصص : مدرس بقسم البلاغة والنقد .

الموضـــوع : الصورة البيانية فى شعر بشار بن برد .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٥/٣٠ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور على البدرى مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / يوسف البيومى عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح لاشين عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٣ —

الاســـم : دكتور / الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت .

التخصص : مدرس بقسم البلاغة والنقد .

الموضـــوع : البلاغة فى تفسير أبى السعود .

تاريخ المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور على البدرى /مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور /محمد رجب البيومى/ عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور /عبد العظيم المطعنى/ عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٤ —

الاســـم : دكتور / عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم .

التخصص : قسم أصول اللغة .

الموضـــوع : الدلالة اللغوية ومظاهرها فى ديوان لزوم ما لا يلزم لأبى العلاء المعرى .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٥/٥/٤ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور/عبدالله عبدالعزازى / مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور/عبد الله ربيع محمود / عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / محمد أحمد خاطر / عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٥ —

الاســـم : دكتور / حسن أمين مخيمر .

التخصص : قسم البلاغة والنقد .

الموضـــوع : الاستعارة وبلاغتها فى القرآن الكريم .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٥/٥/١٨ .

لجنه المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / فتحى عبد القادر فريد مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / محمد جلال الذهبى عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز عبد المعطى عرفة عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الثانية .

ثانيا : رسائل التخصص « الماجستير » .

— ١ —

الاســـم : محمد عبد الحليم محمد سليمان

التخصص : مدرس مساعد بقسم اللغويات

الموضوع : تحقيق الجزء الأول من كتاب إعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى

تاريخ المناقشة : ١/٧/١٩٨٣

لجنة المناقشة : ١ — الاستاذ الدكتور / ابراهيم حسن مشرفا

٢ — الاستاذ الدكتور / محمد يسرى زعير عضوا

٣ — الأستاذ الدكتور / مصطفى إمام عضوا

درجة المنح : جيد جدا

— ٢ —

الاســـم : رفعت اسماعيل السيد السودانى

التخصص : مدرس مساعد بقسم البلاغة والنقد

الموضوع : البلاغة والنقد فى كتاب الكامل

تاريخ المناقشة : ٢٠/٧/١٩٨٣ م

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحمن الكردى مشرفا

٢ — الاستاذ الدكتور / يوسف البيومى عضوا

٣ — الاستاذ الدكتور / محمد جلال الذهبى عضوا

درجة المنح : جيد جدا

— ٣ —

الاســـم : أبو السعود أحمد محمد الفخرانى

التخصص : مدرس مساعد بقسم أصول اللغة

الموضوع : دراسة ديوان حميد بن ثور من الناحيتين الدلالية والمعجمية

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٢/١٦

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور/عبد الله ربيع محمود مشرفا

٢ — الاستاذ الدكتور / عبد الله عيد العزازى عضوا

٣ — الأستاذ الدكتور / أمين فاخر عضوا

درجة المنح : ممتاز

— ٤ —

الاســـم : أبو الفتوح أحمد ابراهيم الغمرى

التخصص : مدرس مساعد بقسم اللغويات

الموضوع : الظروف المضافة واستعمالاتها فى القرآن الكريم

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٩/٩

لجنه المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / مصطفى النماس مشرفا

٢ — الاستاذ الدكتور / ابراهيم حسن عضوا

٣ — الأستاذ الدكتور / محمد يسرى زعير عضوا

درجة المنح : جيد جدا

— ٥ —

الاســــم : ربيع محمد مصطفى صادومة

التخصص : مدرس مساعد بقسم أصول اللغة

الموضوع : النطق وضوابطه فى المعجم العربى

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/١٠/٢٧

لجنة المناقشة : ١ ــ الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود مشرفا

٢ ــ الأستاذ الدكتور / عبد الله عيد العزازى عضوا

٣ ــ الأستاذ الدكتور / محمد أحمد خاطر عضوا

درجة المنح : ممتاز

الفهــــرس

الموضـــوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب

٦١٩٦ / ١٩٨٤م

